وزارة التربية والتعليم

أهداف المعركة

١٩٥٧

وزارة التربية والتعليم
ادارة الشئون العامة



محمد سعيد العريان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَاتِلُوهُمْ . . .

يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُم . . .

وَيُخْزِهِمْ . . .

وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ . . .

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين . . . »

صدق الله العظيم

دستور النهضة

الخطاب الذى توجه به السيد كمال الدين حسين
وزير التربية والتعليم والقائد العـــام لجيش التحرير
إلى الأساتذة والمعلمين والطلاب لمناسبة استئناف
الدراسة بعد المعركة فى ٢٢/١٢/١٩٥٦ .

باسم الله ، والحمد لله ، والله أكبر . . .

به المعونة ، ومنه التوفيق ، ولوجهه نعمل فى السلم وفى الحرب .

وبتوفيقه ومعاونته ، كان انتصارنا فى المعركة التى فرضها علينا أهل البغى ؛ وبتوفيقه ومعونته ، نستأنف اليوم كفاحا جديدا فى سبيل المعرفة ، لنحقق نصرا آخر .

عناصر النصر

كان الاخلاص ، واجتماع الرأى والارادة ، والسخاء فى البذل والتضحية ، هى العناصر الأولى التى كتبت لنا التوفيق والنصر فى المعركة ؛ وبهذه العناصر نفسها ، نلتمس توفيق الله فيما نستأنف اليوم من كفاح فى سبيل المعرفة ؛ ليتحقق لنا فيها نصر جديد ؛ تأييدا لقوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . »

لقد احتشدت مصر كلها قلبا وروحا وارادة فى معركة الحرية ، فضربت للعالم مثلا رائعا من أمثـــلة البطولة ، وقدمت صورة من أعظم صور الفداء والتضحية لم تزل تبهر القـــلوب والعقول فى شتى أقطـار الأرض ... فبكفاحنا كان انتصارنا هذا الرائع ، الذى يسجلهالتاريخ فى انصع صفحاته ، ليكون شاهدا للأجيال ، ومثلا عاليا للمكافحين فى سبيل الحرية ...

صورة رائعة ، قدمتها مصر اليوم ، لتنضم الى عديد الصور التى سجلها التاريخ من كفاحنا الوطنى فى شتى مراحله ...

برهان جديد

برهان جديد ، على أن مصر التى دمرت بكفاحهاالرائع قواعد الاستعمار فى الشرق العربى فى معركة ((حطين)) ، منذ ثمانية قرون ، وأذلت رقاب الانجليز والفرنســيين من عهد ((ريتشارد)) و ((لويس التاسع)) فى معــارك ((دمياط)) و ((المنصورة)) و ((بيت المقدس)) ، وحمت الحضارة كلها من الدمار بالقضاء على الاستعمار المغولى فى موقعة ((عين جالوت)) من أرض فلسطين ...

برهان جديد ، على أن مصر هذه لم تزل هى حصن الكفاح المنيع ، وقوة الدفاع الظافرة فى كل معركة من معارك الحرية ، ونقطة التحول الخطير فى تاريخ البشرية كلما آن لتاريخ البشرية أن يتطور ...

خصائص اصيلة

الاخلاص ، والايمان بالله ، واجتماع الرأى والارادة ، والسخاء فى البذل والتضحية : خصائص أصيلة فى شعب مصر العريق ، لم تزل تؤثر فيه وتؤثر به فى تاريخ العالم .

خصائص أصيلة قد تحجبها حينا بعض الأعراض الطارئة عن الظهور ؛ حتى اذا أمكنتها الفرصة وثبت ، ثم لايكون وثوبها الا فصلا جديدا فى تاريخ البشرية ...

جذوات تحت الرماد ، أخفاها عن العيون سنين طويلة تسلط بعض الحكام الأجانب عليها ، فلم تكد تخلص بحريتها من حاكميها الأجانب ، حتى اشتعلت تلك الجذوات نارا محرقة ونورا ساطعا ، وكذلك هى منذ الماضى البعيد ، وكذلك هى فى مستقبلها أبدا ان شاء الله ، بالاخلاص ، والايمان بالله ، واجتماع الرأى والارادة ، والسخاء فى البذل والتضحية ...

معركة بورسعيد

ان معركة بورسعيد ، التى أذللنا فيها كبرياء دولتين كانتا تزعمان أنهما من أكبر دول العالم المعاصرة ، هى صورة أخرى من صور كفاحنا المتصل عبر التاريخ ، تنضم الى مثيلاتهامن صور معارك «رشيد» و «القاهرة» و « كفر الدوار » ، الى معارك أخرى لم تزل مذكورة بأمجادها الرائعة فى سجل تاريخنا الحافل بالنضال فى سبيل الحرية . وهى الى ذلك برهان آخر على أن مصر دائما مقبرة الغزاة .

معركة بورسعيد هذه ، التى أدهشت العالم وكشفت له عن حقيقة مصر الخالدة ، قدمت البرهان وضربت المثل ، وهى معركة باغتة ، غادرة ، فجأت مصر لأول عهدها بالحرية ؛ فكيف يكون البرهان والمثل حين تستقر الحياة فى مصر ، لشعب مصر ، فى ظل الحرية الدائمة ؟

سر عداوة الاستعمار

من أجل هذه القوة الكامنة فى شعب مصر ، وفى الشعوب العربية الشقيقة ، كانت مصر والعرب أبدا

هدف الاستعمار الأوربى الانجليزى الفرنسى ، ليقضى على هـــذه القوة الكامنة ، المتمكنة ، فى منطقة الشرق العربى ، لتخلص له مطامعه فى الشرق العربى وفى العالم كله ؛ ولكن مصر والعرب لم يزالوا كالعهـد بهم أبدا : حصنا لا يقتحم ، وارادة لا تغلب ؛ بل لعلهم اليوم أشد حصانة وأجمع رأيا وارادة وأقوى قوة ...

كل المعتدين الذين حاولوا عبر القرون أن يغلبونا على حرياتنا ، وأن يستولوا على أوطاننا ، كانوا ـ منذ الماضى البعيد ـ يستظلون براية بريطانية فرنسية ، منذ عهـد « ريتشارد » و « لويس التاسع » الى اليوم ، وكانت نتائج المعارك أبدا ، انتصارا لنا وخذلانا لعدونا ؛ وستظل نتائجها أبدا ، انتصارا لنا وخذلانا لخلفاء ريتشـــارد ولويس التاســـع ، حتى ينمحى ظل استعمارهم على الأرض ، أو حتى تنمحى انجلترا وفرنسا ...

لقد انتصرنا فى هذه الجولة من جولات المعركة ، ولكن جولات أخرى لابد أن تبدأ بعـد زمن يطول أو يقصر ، ولابد أن نحرز فى كل جولة من جولاتها نصرا بعد نصر ، حتى يفىء المعتدون الى الرشـــد ، أو تكون خاتمتهم الرهيبة .

كفاح آخر فى ميدان العلم

اننا اليوم اذ نستأنف كفاحا آخر فى ميـــدان العلم ، بعد أن أدينا واجبنا كاملا فى ميدان القتال ، لنعى وعيا كاملا وعميقا أننا لم نزل فى المعركة ، وأن الصـــور التى مرت بنا خلال الأسابيع القليـــلة الماضية ، انما هى علم جديد ، وزاد من المعرفة ، وتجارب ذات نتائج وثمرات .

صور من الحياة عشناها ، تتصل بصور أخرى مماثلة من كفاح الآباء والاجداد ، وصـــور غيرها من المستقبل الذى لم يولد بعد . . .

أضواء تتجمع فى بؤرتها صـــور المـــاضى والحاضر والمستقبل ، فنرى فى شعاعها كفاح أسلافنا عبر القرون للتخلص من الاستعمار والذود عن الحرية ، وكفاح أولادنا وحفدتنا فى الغد ، على تسلسل التـــاريخ ، ليظل أبدا وطننا لنا ، وثمرات بلادنا لنا ، وحريتنا فى أيدينا . وهذا هو علم اليوم والغـــد ، حتى يتحقق النصر للمثـــل الانسانية العليا التى نعمل لها منذ كنا . . .

تحول خطير فى السياسة العالمية

ان عدونا اليوم على حافة الهاوية ، بعد أن أخفق فى كل ما حاوله وانهـــارت كل خططه للظفر بنا وامتلاك بلادنا . . .

لقد رددنا عن الشرق العربى كله شرا خطـــيرا كان يتربص به ، وكانت نتـــائج معركتنا تحـــولا خطيرا فى السياسة العالمية ، وأملا جديدا للشعوب المؤمنة بالحرية والمكافحة فى سبيلها . . .

لقد منحنا الله نعمة الثبات والصبر ، والثقة بأنفسنا ، والايمان بنصر الله ؛ وبهـــذه الأسلحة انتصرنا ، وبها سننتصر ، وينتصر كل شعب مكافح لحريته .

معركة حاسمة

منذ بضعة أشهر ، قبل أن تدق طبول المعركة ، وقفت مثل موقفى هذا أتحدث الى شباب الجامعات والمعاهد ، والى أسرة التعليم وأساتذة الجامعات ، لمناسبة افتتاح الموسم الدراسى ، فقلت : « ان المعركة التى تنتظرنا ، أو التى ننتظرها ، لا يثبت فيها الا أولو العزم من الرجال ،

وانها تحتـاج الى قوة وصبر وكفاح ... وقلت : انهـا معركة حاسمة ، يتوقف عليها مستقبل وطننا لأجيال ، واننا سنعد انفسنا لنخوض غمارها فى أى وقت ، لأننا لا نعرف متى يبدأ الغادرون غدرهم ، ولكننا نعرف أننا سنلقاهم حين نلقاهم مزودين بكل أسلحة النصر ، أقوياء، شجعانا ، فدائيين ، ليس بنا حرص على الحياة ولـكن بنـا الحرص كل الحرص على الحرية ، لنحطمهم أينما وجدوا ، ونقتلهم أينما حلوا ، وندمرهم تدميرا لا قيام لهم بعده ... »

قلت هذا يومذاك ، وكان الأمر كما قلت ، فحطمنا ، وقتلنا ، ودمرنا ، وانتصرنا ؛ وباء عدونا بالخيبة والذل وعار الأبد ، وذاق من مرارة الفشل والهزيمة ما لم يذق مثله قط فى التاريخ !

عدونا لم يزل يتربص

وهانذا أقول اليوم مرة أخرى : ان عـدونا لم يزل يتربص بنا ، لينال ثأرا يغسل به عار تلك الهزيمة ، ويحقق لنفسه مطامع لم يزل يحلم بها ... انه لم يزل بحاجة الى درس جديد نلقنه اياه ، بقوتنا ، بشجاعتنا ، بفدائية ليس فيها حرص علي الحياة ؛ لنحطمه ، لنقتله ، لنبيده،

لندمر قواته تدميرا لا يقوم بعده ولا يفكر فى مطمع قريب ولا بعيد ...

فلنظل أبدا على الأهبة ، فان المعركة الحاسمة لابد أن يحين حينها ، لتتحقق للعرب حـــريتهم ، ووحدتهم ، وسيادتهم فى أوطانهم ، فلا يكون فى شـــبر من الوطن العربى كله استعمار انجليزى ، ولا استعمار فرنسى ، وَلا استعمار صهيونى !

سلمت يا مصر

« الحمد لله والله أكبر ...
« سلمت يا مصر من الذل والعار ...
« سلمت من كيد المستعمر الغادر ...
« سلمت يا أرضنا الطاهرة من رجس الخونة مصاصى الدماء ...
« سلمت وعشت ونحن جميعا فداء لك .
« أفئدتنا لك درع ، صدورنا لك حصن ، قوتنـــا لك ذخيرة ، سواعدنا لك سيوف ، وايماننا بالله هو ضمان النصر لك وللعرب . »

هذه نجوانا التى نـنـــاجى بها وطننا كل صباح وكل مساء .

إشادة وتحية وشكر

اخوانى الأساتذة والمعلمين ...

انني فى هذه المناسبة الكريمة ، مناسبة استئناف كفاحنا العلمى لتأمين مستقبل وطننا ، أشكركم أجزل الشكر وأعمقه ، على مابذلتم من طاقة فى المعركة ، وأحيى كفاحكم وما أديتم من حق لوطنكم خلال المعركة ، وقبل المعركة ، وما لاتزالون تؤدون من حق وتبذلون من طاقة ، استعدادا لما سيأتى من جولات المعركة .

لقد كانت أسرة التربية والتعليم ، وشباب الجامعات ، فى طليعةالمجاهدين لاحراز هذا النصر .. كان صوتكم فى الدعوة الى الجهاد من أرفع الأصوات ، وكان بذلكم من أكرم البذل ، وكان جهادكم للعدو من أعظم صور الجهاد ؛ فمن حقكم على أن أشيد ، وأن أحيى ، وأن أشكر . . .

علم اليوم ... ومعركة الغد

فليكن استئنافكم للدراسة اليوم جهادا متصلا بجهادكم فى المعركة ، لتشاركوا فى انتصارات المستقبل بقدر ما شاركتم فى الماضى ...

لقد احتقبتم من فنـــون الحرب ذكريات وصورا وأمانى ؛ فلتكن هذه الذكريات والصور والأمانى هى علم اليوم الذى يعلمه المعلمون منكم ويلقنه التلاميذوالطلاب؛ ليكون كل ما نتعلمه زادا تحتشد به نفوســـنا وتتهيأ لمعركة الغد .

اننى لأشعر اليوم بالفخر والأمل جميعا ، لأن المعلمين، ــ وأنا معلم منهم ــ كانوا درعا لأمتهم ، وحصننا يرد عنها كيد العدو ؛ ولأن الشباب ، وأنا فى قيادة كتائبهم ، كانوا مثلا عظيما للفداء وللتضحية ، وللرجولة المبكرة . . .

هـــذه الروح التى استعلنتم بهـا فى المعـركة ــ أساتذة ومعلمين وشبانا ، باذلين مؤمنين بالله والوطن ــ يجب أن تستمر ، وأن تقوى ، وأن تزداد رسوخاوعمقا.

يجب ألا ننسى

فليكن أعظم دروسكم هو التهيؤ لمعركة الغـــد بكل وسائلها ، وأول وسائلها ألا ننسى . . .

يجب أن يذكر كل مواطن . . . كل شاب ، كل شيخ، أن أول أســـبابنا لتدمير عدونا هو أن نكـرهه ، وأن نحتقره . . . أن تمتلىء قلوبنا حقدا عليه ، وبغضا له ، وتشوقا الى الثأر منه . . .

الذكريات الأليمة الدامية ، للذين سفك الغدر دماءهم أو دفنهم أحياء تحت أنقاض الدمار ، فى معركة الأمس الغادرة ، وفى كل ما مر من معارك الاستعمار فى كل وطن يكافح للحرية ...

والذكريات الكريمة المجيدة ، للمكافحين الأبطال الذين ثبتوا للمحنة ، واحتملوا التجربة بشجاعة وصبروفدائية باذلة ...

هذه الذكريات ، وتلك الذكريات ، يجب أن تبقى أبدا حية فى نفوسكم وفى نفوس طلابكم وفى نفوس كل من حولكم من مواطنيكم ، تؤرث البغضاء والحقد والضغينة فى القلوب ، وتوقد على الدماء نارا تتلظى ...

ان ذلك وحده هو الضمان لكيلا نخدع مرة أخرى...

تدمير وحوش الغاب

البغضاء ، والحقد ، والكراهية ــ قد تكون نعمة انسانية عظيمة ؛ وذلك حين تكون غايتها فرض السلام على وحوش الغاب ، وأعداؤنا وحوش غاب ، لاسبيل الى توقى شرهم الا بالتدمير ...

فلنتعلم البغضاء والحقـــد والكراهية ، ولنعلمها ، لنكون قادرين يوم تحين الساعة الفاصـــلة ، على تدمير وحوش الغاب !

اخواني الأساتذة والمعلمين ...

أبنائي الطلاب ...

تحيتي اليـكم ، وثقتي بكم ، وشكري لكم ولكل من يعي وعيكم من مواطنيكم ، وأســـأل الله لكم التوفيق ، ولوطننا العزة والكرامة .

والله أكبر ... والنصر للأحرار .

والله أكبر ... والعزة لمصر والعرب .

أهداف المعركة

محمد سعيد العريان

هـذه المعركة

إن المعركة الناشبة بيننا وبين الاستعمار لم تنته بعد ، بل لعلها لم تبدأ بعد . . .

إننا مؤمنون بحقنا ، فلن نهدأ أو نستريح حتى نبلغ كل حقنا أو نستشهد دونه . . .

وعدونا عنيد ، شرير ، متربص ؛ فلن يهدأ أو يستريح حتى يبلغ منا ما يريد أو يهلك دونه . . .

ولا بد أن يهلك عدونا قبل أن يبلغ منا ما يريده .

إنها معركة الحياة أو الموت ، لنا ولعدونا جميعاً ، فإما انتصرنا وبلغنا حقنا كاملا وأهدافنا غير منقوصة ، لنعيش أحراراً ، سادة ، أعزة فى أوطاننا ؛ وفى ذلك

هلاك عدونا ؛ وإما غلبنا ذلك العـــدو على أرضنا فاستعمرها ، وعلى مالنا فاغتصبه ، وعلى خيرات بلادنا فأكلها ، وعلى أرزاقنا فسلبها ، وعلى حرماتنا فانتهكها ، وعلى أحرارنا فاستذلهم ؛ ليضمن بذلك لنفسه الحياة ونموت ، يضمن لنفسه السيادة ونذل ، يضمن لنفسه الحرية ونعيش نحن — إن عشنا — عبيـــداً له بلا رأى وبلا إرادة . . .

هى إذن معركة الحياة أو الموت لنا ولعدونا جميعاً ؛ فإما عشنا وهلك عدونا ، وإما هلكنا وذللنا . . .

وقد قررنا أن نعيش . . .

قررنا أن نعيش أحراراً ، سادة ، أعزة فى أوطاننا ، لا سلطان لأحد علينا غير سلطان ضمائرنا ؛ وإذن فليهلك عدونا ، لنضمن لأنفسنا الحياة الحرة الكريمة . . .

لنعش وليمت عدونا . . .

ولكن عدونا العنيد ، الشرير ، المتربص — متشبث

بأسباب البقاء ، فهو لم يزل يجاهد جهاد المستميت ، ليشترى حياته بحياتنا ، لا يوئسه من النصر أن نهزمه مرة أو أكثر من مرة ؛ فهو لابد أن يستأنف المعركة دفاعاً عن حياته ، وعن رزقه ؛ ونحن لابد أن نستعد . . .

ومن أجل ذلك نقرر أن المعركة لم تنته بعد ، بل نقرر أن المعركة لم تبدأ بعد . . .

ونحن على استعداد — يوم تبدأ تلك المعركة — لأن نذيقه ألواناً من الهول ومن العذاب لم يذق مثلها بعد ؛ فإما استسلم واعترف بالخذلان والهزيمة ، كما استسلم واعترف يوم بور سعيد ، وإلا كانت الثالثة ، والثالثة هى القاضية ؛ لأننا قد قررنا — ولا بد أن نمضى فيما قررنا — أن نعيش وأن يهلك عدونا !

الاستعمار عدوّنا !

وعدونا هو الاستعمار فى كل صورة من صوره ...

هو الاستعمار البريطـــانى الذى يتربص بنا فى الجو والبحر وعلى الحدود البرية ...

وهو الاستعمار الفرنسى الذى يتّربص بإخوان لنـــا ما يزالون يكافحون منذ سنين فى الجزائر وفى غير الجزائر من أرض أفريقيا ، ليتخلصوا من جوره ...

وهو الاستعمار الصهيونى الذى يستعمر فلسطين ويشرد أهلها فى الآفاق ...

الاستعمار الإنجـــليزى ، والاستعمار الفـــرنسى ، والاستعمار الصهيونى : أولئك عدوّنا ، ويجب أن نقضى على عدونا ...

يجب أن تتحرر الجزائر ، وأن تتحرر فلسطين ، وأن تتحرر قبرص ، وأن يتحرر كل وطن من الأوطان

التى غلب عليها الاستعمار ليستذل أهلهـــا ، ويغتصب أرزاقهم ، وينتهـــك حرماتهم ، ويسلبهم إرادتهم وكرامتهم .

ذلك الاستعمار هو عدونا ، ويجب أن يهلك عدونا ، ونحن لا نريد إهلاكه رغبة فى هلاكه ، ولكن رغبة فى حيـــاتنا ...

إن الحياة ، والكرامة الإنسانية ، والحـــرية ، حق مقدس لكل حى ، يجب أن يكافح عنه حتى الموت ، وسنكافح عن حقنـــا ذاك ، وعن حق إخوان لنا هنـــا وهناك ، حتى نستخلصه ، ولن نستخلصه إلا أن يهلك عدونا ، ولا بد أن يهلك عدونا ، وإلا هلكنا !

اهداف الاستعمار

إن البقية الباقية من كهنة الاستعمار ، فى لنــدن ، وفى باريس ، وفى غير لندن وباريس من بلاد الدنيــا الجديدة والقديمة — ما يزالون يؤمنون بخرافة قديمــة ، هى أن من حقهم أن يعيشوا أحراراً باستذلالنا ... أن يتوفر لهم الرزق من طعــامنا وشرابنا ... أن نهيئ لهم كل أســباب الاستغلال فى أرضنــا ، فى جونا وبحرنا ومنجمنــا ، ولو كنا فى حاجة إلى كل ثمرة من ثمرات أرضنا وجونا وبحرنا ومنجمنا !

خرافة قديمة لا بد أن نحملهم على أن يكفروا بها ، ليؤمنوا بحقيقــة أخرى مؤكدة ، هى أن أهل كل وطن أحق بخير وطنهم من غيرهم .

خــيرات مصر لمصر ...

وطن الجزائر لأهــل الجزائر ...

أرض قبرص لأهــل قبرص ...
فلسطين وطن العرب لا وطن اليهود ...

ذلك الشاطئ الممتد على البحر المتوسط من طنجة فى أقصى المغرب ، إلى الاســكندرونة فى أقصى الشمال الشرقى ، هو شاطىء العرب ؛ لا مقــام لأحد فيه غير العرب ، فإما جلا عنه الاستعمار وإما أجليناه بكل ما نملك من وسائل القوة ، حتى نحقق هــدفنا كاملا أو نموت دونه .

إن بريطانيا تقول : من أين نأكل اذا لم تكن لنــا مصر وقناة السويس ؟ . . .

وفرنسا تقول : كيف نعيش إذا لم تكن لنا الجزائر والكنغو ؟ . . .

ويهود إسرائيل يقولون : أين يكون وطننا إذا جلونا عن فلسطين ؟ . . .

منطق من حق كل لص أن يقول مثــله ! . . .

من حق كل لص أن يقول كما تقول بريطانيا وفرنسا ويهود اسرائيل : من أين لى الطعام إذا لم أسرق طعامى؟... من أين لى الكساء إذا لم أسرق كسائى ؟... من أين لى المأوى إذا لم أطرد الناس من ديارهم لأتخذها مأوى ؟...

كذلك تقول بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل ، وكذلك يمكن أن يقول كل لص فى العالم ...

إن على طالب القوت أن يطلبه بحقه ، لا بسيفه ؛ راجياً أو مستجدياً ، لا سيداً متسلطاً .

هذه هى الحقيقة التى يجب أن تؤمن بها بريطانيا وفرنسا ، لا بد أن يؤمنوا بها طائعين أو مكرهين ...

سنقرر لهم هذه الحقيقة عمليا ، بقوتنا ، وعزمنا ، يوم نهزمهم الهزيمة القاضية . فنردّهم إلى بلادهم الجدباء المقرورة يعيشون فيها بلا طعام ولا شراب ولا دفء ، حتى يهلكوا من البرد والظمأ والجوع ...

اهداف الامة العربية

أهدافنا إذن واضحة، وأهداف الاستعمار واضحة :

أهدافنا أن نتحرر ، فلا يكون لأحد سلطان علينا فى ديارنا . . .

وأن نتوحد ، لتكون وحدتنا عصمة لنا ووقاية من طمع الطامعين فينا . . .

وأن تكون كل خيرات بلادنا ، من الزرع والضرع وثمرات الأرض والبحر والمنجم ، خالصة لنا ، لايشاركنا فيها بغير إرادتنا أحد غيرنا . . .

وأن يتقلص ظل الاستعمار من كل بلد يبسط عليه الاستعمار ظله ، ليعيش الناس جميعاً أحراراً سادة يتمتعون بالعزة والكرامة .

إن الأمة العربية قد استيقظت من غفلتها الطويلة . . .

إن الشرق كله قد نهض من خموله . . .

إن كل أبناء الأمة العربية العريقة . . . كل الذين

يعيشون على أرض الوطن العربى الكبير ، الممتد من ساحل الأطلسى إلى الخليج العربى ، قد أقسموا أن يعيشوا كما يريدون لأنفسهم لا كما يريد لهم عدوهم .

إن الأمة العربية — وهى تسعون مليوناً من البشر — تريد أن تحقق وجودها ، وأن تشعر بمكانها ، وأن تنتفع بكل إمكانها ، لتكون بين الأمم أمة موحدة حرة ، ذات رأى وإرادة ، ذات جيش وراية ، ذات قوة يعتدل بها ميزان السلام فى العالم .

المغربى فى مراكش ، وفى الجزائر ، وفى تونس ، وفى ليبيا . . .

والمصرى والسودانى فى وادى النيل . . .

والسورى ، واللبنانى ، والفلسطينى ، والأردنى ، والعراقى ، والسعودى ، واليمنى . . .

كل أولئك أمة واحدة ، ليس بين أرض بعضهم وبعض حدود ولا فواصل ؛ أبوهم واحد ، ولسانهم

واحد ، وعقيدتهم واحدة ، وأهدافهم واحدة ؛ فمن حقهم أن يعيشوا أمة واحدة .

ذلك هو هدفنا الأول : أمة عربية متحدة ، فى وطن عربى موحد .

وبلادنا هذه التى تضم أغنى كنوز الدنيا ، فى مائها ، وصحرائها ، وزرعها ، وضرعها ، تملك من أسباب الغنى ما يهيئ لها مستوى رفيعاً من العيش يجب أن تبلغه ؛ فلنستخدم كل ما نملك من وسائل الإنتاج فى البر والبحر ، فى الماء والصحراء ، فى الجو الطلق وفى جوف المنجم . لنستنبط ثرواتنا بأيدينا ، ومن أجل أنفسنا ، فيرتفع مستوى معيشتنا .

ونحن أمة ذات ماض حافل بالمجد ، وحاضر مشرق بالأمل ، وغد سعيد بالكفاح والعمل ، فمن حقنا أن نعمل لنصل أمجاد ماضينا ، بآمال حاضرنا ، بسعادة مستقبلنا .

ونحن أمة ذات عقيدة ومثل إنسانية عليا ، تؤمن بالحرية ، وبالأخوة الإنسانية ، وبالمساواة بين البشر ؛

وتؤمن إلى ذلك بأن الله حين خلق الخلق ليعمروا الأرض ، منحهم فى أوطانهم كل أسباب العيش ، وكل أسباب التحرر والاستكفاء ، وكل أسباب العزة والكرامة ؛ فليس من حق أحد أن يسلبهم حق العيش ، أو حق الحرية ، أو حق العزة والكرامة ؛ ومن حقهم أن يبشروا بعقيدتهم ومثلهم الإنسانية بين أمم الأرض ، لينشئوا وعياً إنسانياً عاماً ينتظم البشرية جميعاً ، تنتفى به أسباب الشر والفساد فى الأرض .

إن تلك المثل التى خرجنا بها ذات يوم على الناس منذ قرون فتحضّروا من بداوة ، وتهذبوا من جفوة ، وتعلموا من جهل ، واتصلت بينهم وبين الإنسانية أسباب — تلك المثل الرفيعة يمكن أن تعود مرة أخرى دستوراً عاما للبشرية ، لتعيش البشرية فى أمن وسلام ورفاهية .

لقد كان وجود أمتنا العربية فى التاريخ هو أول تاريخ الحضارة الإنسانية ، فيجب أن تعود إلى مكانتها فى تاريخ الحضارة الإنسانية ؛ وفى سبيل ذلك نعمل ، لأنه بعض أهدافنا .

أهداف عدوّنا

والآن ماذا يريد عدونا ؟ وماذا يكيده من أهدافنا هـــذه الواضحة الصريحة ؟ ماذا يكيده من أن نتحرر ، ومن أن نتوحـــد ؛ ومن أن تكون خيرات بلادنا لنا ، ومن أن تكون مقاديرنا بأيدينا ، ومن أن يكون العيش الكريم مكفولا لنا ، ومن أن تكون مثلنــا الإنسانية دستور البشرية ليتحقق لها السلام والأمن والرفاهية ...
ماذا يكيده من ذلك ؟

إنمـــا يكيده منا أنه يعرف عن يقين أنه لا يغلبنا إلا حين نتفرق ، وهو يريد أن يغلبنا ، فهو لذلك لا يريد أن نتوحد ...

وإنمـــا يكيده أنه يريد لنفسه بيننا حرية مثل حرية الراعى فى غنمه ، والراعى فى غنمه لا يريد لها حرية ، وإلا نفرت من عصاه شاردة فى البرية فليس له عليهـــا سلطان ...

وإنمـــا يكيده منا أننا نريد أن تكون خيرات بلادنا لنا ، لأنه لنفسه يريدها ولو هلكنا جوعاً ...

وإنمـــا يكيده منا أننا دعاة خير فى الإنسانية ، وهو لا يؤمن بالإنسانية وإنما يؤمن بنفسه و ببطنه و بشهواته ، فكل دعوة للإنسانية حرب عليه لأنها تحرم عليه شهواته ، ومن أجل ذلك لا يريد أن نكون دعاة خير فى الإنسانية .

تلك أهدافنا وهذه أهدافه ، ومن أجل ذلك يصطنع الأسباب لحربنا ...

ليمنع وحدتنـــا ...

ليسلبنا حريتنـــا ...

ليغتصب أرزاقنـــا ...

ليستذل رقابنـــا ...

لتظل شريعة الغاب هى المتحكمة فى البشرية !

كل دعوى يدعيهـــا غير ذلك فهى خداع وزيف ؛

ومن أجل ذلك كانت المعركة بيننا وبين عدونا ، وكانت معركة بور سعيد هى المقدمة ...

وتلقى عدونا الدرس الأول فى بور سـعيد ، فإن كفاه فقـد بلغنا ، وإلا فإننا نستطيع أن نلقنه دروسـاً أخرى ...

قضية القناة

واصطنع العدو أسباباً عجيبة للعدوان ، كلما بطل سبب منها اصطنع سبباً غيره ...

كانت أول دعواه أن مصر اغتصبت قناة السويس من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة . . .

وظن الذين سمعوا هذه الدعوى أن قناة السويس لا بد أن تكون جزءاً من بريطانيا أو من فرنسا أو من الولايات المتحدة ، ثم نظروا إلى كل المصورات الجغرافية فرأوا قناة السويس جزءاً من مصر ، على يمينها أرض مصرية ، وعلى شمالها أرض مصرية ، وأولها من الجنوب بحر مصرى عربى ، وآخرها من الشمال بحر مصرى عربى ، وعرفوا من التاريخ أن الأيدى التى حفرتها مصرية ، والجهود التى بذلت لحفرها مصرية ، والعرق الذى وصل الماء بين البحرين تقاطر من جباه عمال مصريين ، وقبور

الضحايا تحت الصفائح على الشاطئين تضم أجساد الذين طحنهم الكد والعمل المتصل فى حفرها من أبناء مصر ، والقوات العسكرية التى تحمى الشاطئين قوات مصرية ؛ فمن أين لبريطانيا وفرنسا ، وغير بريطانيا وفرنسا من دول الاستعمار ، أن تزعم أن مصر اغتصبت منها قناة السويس ؟

وانهارت أول دعوى فكان لا بد من انتحال سبب ثان للعـــدوان ...

وقالت بريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول الاستعمار : إن قنـــاة السويس ممر دولى ، يجب أن يخضع لرقابتنـــا لنطمئن على سلامة مواصـــلاتنا .

وقالت مصر : وهل منعنـــاكم أن تمروا وقـــد كنا مستطيعين أن نمنعكم ؟

قالوا : نخاف إن لم تمنعونا اليوم أن تمنعونا غداً .

قلنـــا : إذا منعناكم يوماً فقـــد ثبتت لـكم الحجة يومئذ علينـــا .

وانهار سبب آخر من أسباب العدوان ، وكان لا بد من انتحال سبب ثالث ...

واجتمع ممثلو بضع وعشرين دولة فى لندن ، بدعوة من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ليشهدوا لأصحاب الدعوة ، طائعين أو مكرهين ، أنهم هم وحدهم ، دون غيرهم ، أصحاب الرأى فى مستقبل قناة السويس ، وأنهم هم وحدهم ، دون غيرهم ، أصحاب الحق فى حماية المرور فى قناة السويس ؛ وشهدوا أو شهد أكثرهم كما لُقِّنُوا ، وتعففت بضع دول منهم عن شهادة الزور . . .

وكان من وراء هؤلاء وأولئك بضع وأربعون دولة أخرى ، لم يشهدوا ذلك الاجتماع ، فقالوا : إن كان ممر قناة السويس دوليا كما يزعم أولئك ، فنحن شركاء فيه ، فما لهم يستأثرون بالرأى دوننا ؟

وقالت مصر : تعالوا ندع إلى اجتماع عام ، تشترك

فيه كل الدول التى تستخدم القناة ، لتقرر نظاماً ترضاه مصر صاحبة القناة ، ويضمن لكل الدول أن تنتفع من قنـــاة السويس ...

وانهار بهذه الدعوة سبب ثالث من أسباب العدوان ...

ولو أن بريطانيا طال صبرها – كعادتها يوم كانت دولة عظمى – لاصطنعت بعد كل ما انهـــار من أسبابها سبباً رابعـــاً ، وخامساً ، وسادساً ... إلى أن تبلغ مبلغاً ، ولكن بريطانيـــا عجوز الاستعمار قد أدركهـــا وهن الشيخوخة فلم يكن لهـــا اصطبار على اصطناع أسباب جديدة لتبدأ عـــدواناً على مصر يشفى داء صـــدرها ، فطـــاشت طيش الضعيف المخـــذول ورمت بنفسها فى الكارثة ...

ليست القناة هى السبب . . .

ولو كان تأميم شركة قناة السويس هو السبب الذى يملأ قلب بريطانيا حقداً وحفيظة ، لأغناها عن كل محاولات العدوان اطمئنانها إلى أن مصر لن تحول بين دولة من الدول وبين المرور فى قناة السويس ؛ ولكن بريطانيا لم تكن تعنى قناة السويس وحق المرور فيها حين استحدثت أسباب النزاع ، وإنما كانت تعنى هدفاً آخر تصطنع من أجله أسباب العدوان ، لتمنع وحدة العرب ، وحرية العرب ، وقوة العرب ، واستقلال العرب فى أرضهم بخيرهم ، واستعلان العرب بدعوتهم الإنسانية فى العالم ؛ وإذن فلتكشف قناعها ، ولتستعلن بنياتها العدوانية سافرة .

وتهامست إنجلترا وفرنسا ويهود إسرائيل ، وتحالفوا على البغى ، وشهد حلفهم الشيطان . . .

وتربص المتحالفون الأشرار ، وكانت أساطيلهم الجوية والبحرية وقواتهم البرية تحتشد فى قبرص ، ليوم قد حددوا موعده بدقة وقدروا له نتائج باتوا يحلمون بتحقيقها .

قبرص قاعدة العدوان

قبرص ، التى احتشد فيها هؤلاء الحلفاء للعدوان على مصر ، هى نفسها قبرص ، التى احتشد فيها استعماريون آخرون من أجداد أولئك المستعمرين ، منذ سبعة قرون ، لمثل هذه الغاية ، وكان حامل رايتهم يومذاك — كحامل رايتهم اليوم — فرنسيا ، ملكاً ، اسمه لويس التاسع ؛ ولم يكن فى ذلك التاريخ شىء اسمه قناة السويس ليجعله أولئك المستعمرون سبباً ؛ فجعلوا « الصليب » سبباً للعدوان على مصر . . .

فى ذلك الماضى البعيد ، وفى هذا الحاضر الماثل ، كانت قبرص هى قاعدة العدوان ، وكان الهدف واحداً فى المعركتين القديمة والحديثة وإن اختلف السبب الظاهر ؛ كان عدوانهم يومذاك صليبيا ، وكان لعدوانهم اليوم عنوان آخر غير الصليب لم يستطيعوا أن يحققوه بدقة ...

فى ذلك الماضى ، منذ سبعة قرون ، احتشدت القوى

الاستعمارية الباغية ، ثم زحفت على شواطىء مصر ، فنشبت فى دمياط معركة لم تستمر طويلا ، ثم نشبت المعركة الثانية فى المنصورة . وكان القضاء يتربص بهم فى المنصورة ، فدارت عليهم الدائرة . . .

وكانت عتبة كل دار يومذاك ميداناً لمعركة ، ووراء كل نافذة محارب فى قوة جيش كامل العدد ، وفوق كل سطح دار موت يتربص . والتقى الجيش الغازى بأهل المنصورة جميعاً ، رجالا ، ونساء ، وأطفالا ، وشيوخا ، قد خرجوا جميعاً للقاء العدو . . .

ويتبدد جيش المعتدين شذر مذر ، ويسقط جنوده أشلاء على طريق الفرار الطويل ، الممتد من المنصورة إلى فارسكور ، وتبقى عظامهم سماداً للأرض كروث البهائم ، لم تزل تصطدم بها حتى اليوم محاريث الفلاحين فى تلك المنطقة . . . ويقع ملكهم لويس التاسع أسيراً ويُسحب من رقبته بحبل إلى دار ابن لقمان بالمنصورة ، ويسقط أخواه قتيلين فى شوارع المدينة ، ولا ينجو من

المعركة إلا امرأته «مرجريت دى بروفانس» ؛ لأن المصريين لا يقتلون النساء . . .

ويتعلم الفرنسيون وحلفاؤهم درساً من تلك المعركة ، ولكنهم ينسونه على مر القرون ، فتعود جيوشهم وجيوش حلفائهم لتحتشد مرة أخرى ، فى قبرص نفسها ، بعد سبعة قرون ، يحاولون غزو مصر . . .

الدرس الذى تعلموه فى القرن الثالث عشر كان يحتاج إلى تكرار ، ليحفظوه ولا ينسوه أبداً . . .

إسرائيل مخلب قط !

جيوش الاستعمار الصليبي تحتشد مرة أخرى في قبرص في صيف سنة ١٩٥٦ ، لتنتهز فرصة ملائمة للوثوب على مصر ، لتعسكر على شاطئ القناة ، لتحتل بور سعيد ، والإسماعيلية ، والسويس ، لتثب منها إلى الدلتا ، ولتنفذ من شاطئ القناة إلى القاهرة ، ثم تبسط ظلها على الوجهين ... ويتحقق لإيدن وجي موليه في القرن العشرين ، ما لم يتحقق مثله لريتشارد ولويس التاسع في القرن الثالث عشر ، ومالم يتحقق لنابليون في القرن الثامن عشر ... وتسقط مصر تحت أقدام البريطانيين والفرنسيين ، فتذل الأمة العربية بين الشاطئين ، وتلقى زمام الطاعة إلى بريطانيا وفرنسا ، وإلى إسرائيل أيضاً ، ويزول الخطر الذى يهدد الاستعمار في هذه المنطقة من العالم ، إلى الأبد ...

يا له من حلم رائع !

حلم ليلة صيف !

ولكن ، متى تتاح الفرصة الملائمة ، ومن يصطنع لها الأسباب ؟

إن السياسة فى هذه السنين غيرها فيما غبر من التاريخ ، فلا بد من سبب ظاهر ، مباشر ، يتيح لبريطانيا وفرنسا ومن وراءهما من الحلفاء المختفين والظاهرين أن يثبوا وثبتهم ليحققوا ذلك الهدف .

ثم خيل إليهم أنهم وجدوا ذلك السبب الذى يلتمسونه حين وجدوا إسرائيل . . .

إسرائيل . . . عصابة سفاكين ، أفاقين ، مصاصين للدماء ، لفظتهم أمم العالم إلى الأرض المقدسة ليكون لهم فيها وطن ويكون للاستعمار من هذا الوطن المزعوم قلعة فى وسط الأمة العربية التى تجاهد للخلاص من الاستعمار ...

أجراء وسماسرة للاستعمار ، اتخذهم فى هذه المنطقة

المتوسطة من بلاد العرب حصناً له وقاعـدة عسكرية ، ليمد منها مده ، ويبسط نفوذه ، ويدس دسائسه ، وينفث سمومه إلى كل ما حواليها من بلاد العرب .

قلعة استعمارية اسمها إسرائيل ، اصطنعها الاستعمار حين ضعفت قوته فى هذه المنطقة ، ليخدع الناس بالعنوان الجديد عن الحقيقة التى يريد أن يسترها . . .

إسرائيل هذه ، حثالة يهود ، كل كفايتهم أن يكونوا سماسرة ووسطاء ، فليكونوا فى المعركة المدبَّرة سماسرة ووسطاء كذلك ، وليكونوا مخلب قط للاستعمار يلتقطون به الثمرة من النار !

بدء العدوان

وكان يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ هو الموعد الذى حدده السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ليجتمع ممثلو مصر صاحبة القناة بممثلى الدول الذين يزعمون من حقهم أن يطمئنوا على مستقبل القناة وحرية المرور فيها ...

كان هو الموعد المقرر ليلتقى هؤلاء وأولئك فى جنيف ، ليتباحثوا فى هدوء وروية وسلام حول مستقبل القناة ، وكان هو الموعد المقرر كذلك فى السر بين الدول الاستعمارية الباغية ليبدأوا العدوان على مصر ...

وفى اللحظات التى كان مقرراً فيها أن يلتقى المتباحثون تحت راية السلام فى جنيف ، بدأت قوات من يهود إسرائيل تتحرك بجموع كثيفة وعتاد ثقيل على الحدود المصرية فى سيناء ، صوب قناة السويس .

ولم يكن عدوان إسرائيل ليقلقنا قليلا أو كثيراً ...

إن كل نار يمكن أن تشبّها إسرائيل تطفئها بصفقة ، بل إننـــا لننتظر فرصة مثل فرصة هذا العـــدوان لنمحو إسرائيل جيشاً وشعباً ودولة ، فلتتحرك قواتنا إلى سيناء ، لتبصق على نار إسرائيل فتطفئها ، ثم تتعقب فلولها حتى تبيدهم وتخلص فلسطين العربية لأهلها . . .

ولكن الخطة الاستعمارية لم تكن كذلك . . .

كانت خطة الاستعمار أن تتحرك قوات إسرائيل ، تؤازرها فى السر أو فى العلانية قوات الاستعمار البريطانى الفرنسى ، لتجتذب القوات المصرية إلى سيناء ، ويخلو الوطن المصرى من حمـــاته ، حتى إذا احتشدت قوات مصر جميعاً فى صحراء سيناء ، أتيحت الفرصة المنتظرة لقوات الاستعمار البريطانى الفرنسى ، لتنفـــذ خطة من خطط الغدر والنذالة ليس لها مثيل فى التاريخ . . .

خطة الغدر

اليوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ...

القوات المصرية فى البحر والبر والجو تدق على رأس إسرائيل دقا عنيفاً . . .

الجيوش العربية تزحف نحو إسرائيل من كل جانب .

فرصة أتيحت لمصر والعرب ، ليستأصلوا ذلك السرطان من جسم الأمة العربية .

اليوم ، ليس بين العرب و بين تحرير فلسطين لأهلها من الاستعمار الإسرائيلى إلا بضعة أيام ، ثم ترتفع الراية العربية على أمنع حصون تل أبيب .

هذه هى اللحظة التى ينتظرها العرب منذ ثمانى سنوات . كان لا بد أن يحين ذلك اليوم ، وقد قرّبت إسرائيل

موعده بهذا العدوان الأحمق ... فلتمض الجيوش المصرية العربيـــة إلى غايتها ، وليتهيأ عرب فلسطين ليعودوا إلى وطنهم فلسطين .

لقد نضجت الثمرة ، وحان قطافها ...

إنذار بريطانى !

فى تلك اللحظة الحاسمة من تاريخ مصر ، وتاريخ العرب ، وتاريخ إسرائيل ، تقدم إنذار بريطانى فرنسى إلى مصر يقول : بمقتضى حق بريطانيا فى حماية قناة السويس إذا اعتدى على مصر معتد أثيم ، يجب أن تحتل الجيوش الإنجليزية الفرنسية شاطىء القناة ، إذا لم يكف القتال بين مصر وإسرائيل قبل مضى اثنتى عشرة ساعة !

هذا هو الإنذار البريطانى الفرنسى . . .

أمن أجل حماية مصر والقناة أم من أجل حماية إسرائيل كان هذا الإنذار ؟

أما مقدمات الإنذار فتزعم أن القصد هو حماية القناة ومصر من عدوان إسرائيل ، وما كانت مصر ولا القناة فى حاجة إلى من يحميهما .

وتمضى الاثنتا عشرة ساعة ولا تكف مصر عن القتال ولا يكف الدق على رأس إسرائيل ، وإذا سلاح الجو

البريطانى الفرنسى يضرب بور سعيد والإسكندرية وعواصم مصر وشواطىء القناة الغربية .

أمن أجل حماية مصر والقناة أرسلت بريطانيا وفرنسا طائراتهما لضرب المدنيين فى مصر وتخريب المدن فى مصر ...

فقد اتضحت الخطة إذن ...

إن بريطانيا وفرنسا ومن وراءهما من دول الاستعمار الظاهرة والمستورة ، إنما كانت تصطنع هذا السبب لتضرب مصر فتحتلها ، وجيشها بعيد عنها يقاوم إسرائيل فى سيناء ! ...

احلام السكارى !

لقد كان زعماء عصابات الغدر فى لندن وباريس وتل أبيب يطمعون أطماعاً بعيدة المدى . . .

لقد أذهلتهم قوة النضال العربى وذهبت برشادهم فباتوا يحلمون أحلام السكارى . . .

وكان أول مطمعهم قناة السويس ، ثم اشتد بهم خُمار الغيظ والحفيظة فصار مطمعهم أن يقضوا على الأمة العربية جميعاً ويتوزعوا وطنها أسلاباً بينهم فلا تكون أمة عربية ولا وطن عربى . . .

ودبروا خطة المعركة وحددوا أهدافها . . .

وكان أول التدبير أن تتاح الفرصة ليهود إسرائيل كى يزحفوا على سيناء . . .

فإذا نهض جيش مصر للمقاومة أخلى له الطريق حتى يجتاز القناة إلى الصحراء الشرقية ، ثم تهجم بريطانيا

وفرنسا على مصر ، وجيشها مشتبك مع يهود إسرائيل فى فيافى سيناء ؛ فيقع جيش مصر بين قوتين طاحنتين فى شرق القناة وغربها ، فلا يملك عن نفسه ولا عن وطنه دفاعاً ولا مقاومة . . .

فإذا رأى شعب مصر ما صار إليه أمره ثار على جمال عبد الناصر فأسقطه ؛ لأن جمال عبد الناصر هو أصل هذا البلاء وسبب تلك الفتنة . . .

فإذا سقط جمال عبد الناصر فقد خفت صوت مصر..

وإذا خفت صوت مصر فقد خفت صوت العرب ، وتمزقت وحدة العرب ، وصارت بلاد العرب جميعاً لقمة سائغة للاستعمار . . .

كذلك زعموا ، وكانوا فيما زعموا أصحاب تدبير وسياسة وكيد ، وكانوا فى تدبيرهم وسياستهم وكيدهم لا يخلون من ذكاء ... أليست مصر زعيمة البلاد العربية ؟ فإنهم ليزعمون أنها هى التى تجمعهم على الرأى ، وأنها هى

التى تقودهم فى معركة الاستعمار وتقاوم بهم مكايد المستعمرين ؛ فإذا سقطت مصر – كما زعموا – فما أيسر أن تثبت أقدام بريطانيا فى العراق ووادى الأردن وعدن والبحرين وبلاد أخرى . . .

وتثبت أقدام الاستعمار الفرنسى فى الجزائر وشمال أفريقيا . . .

وتثبت أقدام الصهيونية فى فلسطين وسيناء . . .

وتذهب ريح العرب !

إلى هذه الغاية دبروا خطتهم ، وكان أولها هجوم يهود إسرائيل على سيناء ، ثم تتتابع الأحداث وتسقط الثمرات . . . .

أحلام رتبوها بدقة ، وحددوا مواعيدها بإحكام ، وتحدثوا عن إمكان تحقيقها بوقاحة ؛ ثم انتظروا الثمرات الناضجة أن تسقط فى أفواههم وهم مستلقون على ظهورهم تحت الشمس الدافئة على شاطىء القناة . . .

وأخذتهم غفوة ، ثم لم يلبثوا أن استيقظوا فإذا صرح أحلامهم ينهار كله على رءوسهم فهم تحت أنقاضه رمم وأشلاء . . .

وكان الذى حطم الصرح على رءوسهم ، بضـــع كتائب من المتطوعين ، وبعض فرق المقـــاومة الشعبية فى بور ســـعيد !

انهيار الصرح ! . .

وكانت غارة الطائرات البريطانية الفرنسية على القاهرة بعد انتهاء مدة الإنذار ، هى أول الخطة التى زعم المتآمرون لأنفسهم فى لحظات التدبير الخائب أنهم سيبلغون بها مبلغهم من مصر والعرب . . .

وكانوا يقدرون أن تبث هذه الغارة الرعب والفزع فى قلوب المصريين فيسرعوا إلى الاستسلام ، وتُسخطهم على حكومة عبد الناصر فيثبوا عليه ليبعدوه عن القيادة ؛ فيصيب المتآمرون عصفورين بحجر . . .

ولكن طائراتهم لم تكد تئز أزيزها فى سماء القاهرة حتى حدثت معجزتان لم يكن حدوثهما منتظراً ، وكان من الممكن أن يقدر المتآمرون حدوثهما لو كان فى نفوسهم رشد وفى عقولهم يقظة : أولاهما أن الشعب هبّ على بكرة أبيه لمقاومة العدوان ، شباباً وشيبا ، رجالا

ونساء ، صبيانا وبنات ؛ وإذا الطائرات المغيرة تهوى محترقة من قذائف فرق المقاومة الشعبية ، بدل أن تلقى قذائفها فى أعقاب شعب منهزم . . .

والأخرى هى ازدياد ثقة الشعب جميعاً بعبد الناصر ، والتفافه حوله ، واستماعه له ؛ فهو أحب إليهم من أنفسهم ، ومن بنيهم وبناتهم ، وإذا هم جميعاً تحت رايته صف واحد ، ورأى واحد ، وهدف واجد . . .

ثم كانت غارتهم هذه التى جعلوها أول خطتهم إلى الغاية التى يقصدونها ، هى أول انكشاف تلك الخطة . . .

وإذن فإن هجمة إسرائيل منذ يومين على سيناء لم تكن إلا تدبيراً خبيثاً لاجتذاب جيش مصر بعيداً عن مواقع دفاعه الطبيعية فى مصر ، ليخلو الميدان لبريطانيا وفرنسا . . .

وانكشفت لمصر خطة العدو كاملة ، فقررت أن تحبطها . . .

إن ليهود إسرائيل يوماً آخر قريباً يجب أن يُدخر له جيش مصر ، أما اليوم فإن لنا موعداً مع بريطانيا وفرنسا ..

وانسحب جيش مصر من سيناء على عجل ، ليرابط على أرض مصر لمواجهة الغزاة الأبطال . . . القادمين من قبرص فى مثل حملة لويس التاسع الصليبية ليغزوا مصر فى القرن العشرين !

وجن جنون بريطانيا وفرنسا حين رأتا جيش مصر فى سيناء يسرع عائداً إلى قواعده ، ليرجئ حساب يهود إسرائيل إلى يوم آخر قريب . . .

وقدرتا ماسيكون لو أتيح لجيش مصر أن يعود سالماً بكل عتاده وقوته إلى أرض الوطن ليحسن استقبالهما بما يستحقان . . .

وكان تفكيرهما فى ذلك جديرا بأن يذهب بصوابهما فيحملهما على حماقة جديدة . . .

وكانت هذه الحماقة الجديدة أن أرسلتا طائراتهما

لتدمر بقذائفها « كوبرى الفردان » على القناة ، لتمنع الجيش من الارتداد إلى الوطن . . .

ثم أرسلنا طائرات أخرى تضرب كل سفينة مصرية بين شاطئى القناة ، لتمنعها من المعاونة على رد الجيش إلى الوطن . . .

ونسيت بريطانيا وفرنسا فى لحظة الحماقة الطائشة ، أنهما إنما بدأتا هذا العدوان الغادر على مصر ليتهيأ لهما أن يستوليا على قناة السويس سالمة ؛ لتأمين عبور سفنهما فيها بالطعام والبترول والتجارة بين الشرق والغرب .

نسيتا هذه الحقيقة ، ونسيتا معها حقيقة أخرى، هى أن قناة السويس حين تنسد وتقف فيها الملاحة ، فإن مصير بريطانيا وفرنسا إلى الجوع ، وإلى البطالة ، وإلى وقف الصناعة وكساد التجارة وشلل الاقتصاد البريطانى الفرنسى . .

نسيتا هاتين الحقيقتين حين أرسلتا قاذفات القنابل

تدمر كوبرى الفردان وتحطم السفن المصرية فى القناة ، فتنسد القناة وتقف فيها الملاحة . .

فبأيديهما لا بأيدى غيرهما تتعرض بريطانيا وفرنسا اليوم للجوع وللبطالة ، ولوقف الصناعة وكساد التجارة ، ولشلل الاقتصاد البريطانى الفرنسى . .

وبأيديهما لا بأيدى غيرهما كانت نتيجة أخرى لم تكونا تتوقعانها ، ولعلها أعظم أثرا فى بريطانيا وفرنسا وفى الاقتصاد البريطانى الفرنسى من سد قناة السويس ، تلك هى انقطاع البترول العربى عن بريطانيا وفرنسا وغرب أوربا جميعا . .

بأيديهما كانت هـــذه النتيجة كذلك ؛ لأنهما بعدوانهما كانتا تتحديان الأمة العربية ، فقابلت الأمة العربية هذا التحدى بمثله ، ودمرت آبار البترول العربى .

ثم كانت معركة بورسعيد ، فكانت الكارثة العظمى على بريطانيا وفرنسا . .

معركة بورسعيد

هل كان يظن خلفاء ريتشارد فى لندن ، وخلفاء لويس التاسع فى باريس ، أن كل ما يملكون من سلاح جوى وبرى وبحرى ، ستغلبه قوات المقاومة الشعبية على شاطىء بورسعيد ، فتهزمهم هزيمة لم يذوقوا مثلها منذ كان لهم وجود فى البر والبحر والجو ؟

هل كانوا يظنون أن آلاف الطائرات تحلق فى سماوات بورسعيد وغيرها من العواصم ومدن الشاطىء ، لن تستطيع أن تغلب مصريا واحداً على إرادته وعزمه ، وستتحداها قوات المقاومة الشعبية بهذه الشدة والعنفوان .

هل كانوا يظنون أن أساطيل بريطانيا (العظمى) ، سيدة البحار ، التى لا تغيب عن إمبراطوريتها الشمس ، سيعطلها عن نشاطها البحرى بضع عشرات من الضفادع المصرية ، فتميل سفنهم وبوارجهم على جنوبها فى كل شاطىء من شواطىء مصر .

هل كانوا يظنون أن آلاف الهابطين بالمظلات من شياطينهم الحمر ، لن تمس أقدامهم الأرض إلا وهم جثث هامدة ؟ .

هل كانوا يقدرون أن آلاف الأطنان من المتفجرات تقذفها طائراتهم وبوارجهم من الجو ومن البحر ، لن يكون لها من الأثر فى قوة المقاومة الشعبية إلا كما يشتعل عود كبريت ثم ينطفىء ؟ . .

هل كانوا يظنون أن فى مصر جيشاً يتألف من ٢٢ مليوناً ، لا يرضى ضمير واحد منهم بأن يموت إلا بعد أن يقتل بعدد أصابعه من جنودهم البرية أو البحرية أو الجوية ؛ ليكون ذلك قربانه إلى الله قبل أن يلقاه شهيداً ؟ . .

هل كانوا يظنون أن الخطة الحربية الضخمة التى قدروا لتنفيذها ستة أيام يبلغون فيها ما يبلغون من مصر فإذا سلطانهم عليها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى

الغرب – سينتهى الأجل الذى حددوه لتنفيذها ولا يتحقق لهم منها شىء ، ويتحقق للمصريين كل شىء ، فإذا جنود الدولتين العظيمتين أشلاء ، ورمم سابحة فى الدماء ، وجثث طافية على الماء ، وصرخات تتردد فى الفضاء ؛ وشعب مِصر هو شعب مصر ، لم يزل قائماً على قدميه يناضل ، فى نفسه العزم ، وفى قلبه الإيمان ، وفى يده السلاح ، وكله يقين بالنصر ؟

إن كل ذلك قد كان ، فى بورسعيد ، ولم تكن بريطانيا ولا فرنسا ولا إسرائيل ولا حلفاؤهم المستورون من دول الاستعمار ، يقدرون أن شيئاً من ذلك يكون ..

كل ذلك قد كان فى بورسعيد ، واستطاعت بضع كتائب من فرق المقاومة أن يصنعوا هذه المعجزات ، وأن يغلبوا بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ومن وراءهم من دول الاستعمار الظاهرة والمختفية ، وأن يقتلوا الآلاف من جنود العدو ، ويدمروا الآلاف من عدده وعتاده ، ويحطموا الشوامخ من أسطوله ، ويسقطوا العديد من طائراته ، ويردوه

على أعقابه مذهولا مخبولا يملأ الرعب قلبه وتفتح الدهشة عينيه وفمه ، وليس على لسانه إلا سؤال واحد يعبر عن دهشته وعجبه ، وعن خيبته وخذلانه . . . هذا السؤال الواحد هو : أهذه مصر ؟ . .

نعم ، هذه هى مصر ، وأنتم أنتم كما رأيتم أنفسكم ؛ وهذا درس تلقنكم إياه مصر القوية الأبية المؤمنة بحقها فى الحرية وفى الكرامة الإنسانية ؛ فإن شئتم تعلمتم ، وإن عدتم وجدتم فى مصر من يلقنكم دروسا أخرى أشد هولا تعودون منها أكثر ذهولا وخبالا . .

نعم ، لقد حققت بورسعيد المعجزة ، وحمت مصر والعروبة من شر ما كان يراد بهما ، وكتب شهداؤها الأبرار بدمائهم صفحة جديرة بالإعجاب والتقدير فى تاريخ مصر والعرب .

مصر قبل ستالينجراد !

إن ستالينجراد التى يجعلها الباحثون فى تاريخ الفنون الحربية عنوانا لفصل جديد فى فن الحرب ، ليست هى المدينة الأولى فى تاريخ المقاومة الشعبية على هذه الصورة من صور المقاومة . .

إن هذا الفن من فنون الحرب قد عرفته مصر قبل أن تعرفه ستالينجراد بمئات من السنين . .

عرفته مصر فى القرن الثالث عشر فى موقعة المنصورة ، يوم وقف الشعب كله جيشا يقاوم جيوش الغازى الصليبى لويس التاسع ، فلم يكف الشعب عن النضال حتى ساق القائد فى أغلاله أسيراً وبدد جيشه على الطريق أشلاء وفلولا من الهاربين ، فلم يسلم منه أحد . .

وعرفت مصر هذا الفن من فنون المقاومة — مرة أخرى — فى القرن السادس عشر ، يوم وقف الشعب كله

جيشا كذلك يقاوم ــ بضعة أشهر ــ سلالات المغول من جيوش الغازى العثمانى ، السلطان سليم ، فلم يستطع أن يرفع رايته على قلعة القاهرة إلا بعد أن وضع يده بالغدر والخديعة على زعماء المقاومة وشنقهم على باب زويلة .

وعرفته مصر فى وقفاتها الباسلة ضد جيوش نابليون فى أواخر القرن الثامن عشر ، فلم تزل قواته تلقى المقاومة فى كل حى وفى كل شارع وفى كل دار ومن وراء كل نافذة ، حتى اضطرت جيوشه ــ بعد عامين وبعض عام من المقاومة ــ أن تلتمس أسباب الفرار وتطلب الأمان للانسحاب !

وعرفته فى مستهل القرن التاسع عشر ، يوم ألجأت قوات المقاومة الشعبية فى مصر جيوش الإمبراطورية العثمانية العظمى إلى التسليم والخضوع لرأى الشعب ، فطوت رايتها وعزلت واليها واعترفت لمصر بحقها فى السيادة .

وعرفته مصر فى مستهل القرن التاسع عشر مرة أخرى ، يوم وقفت رشيد المكافحة لجيوش بريطانيا ، فلم تترك جنودها إلا أشلاء على رمالها البيضاء وفى ظلال النخيل !

وعرفت مصر ألوانا من هذا الكفاح فى سنة ١٨٨٢ وفى سنة ١٩١٩ ، وفى سنة ١٩٣٥ ، وفى سنتى ١٩٥١ و١٩٥٤ ؛ ثم أعطت الصورة الكاملة للعالم كله على شواطىء بورسعيد فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

وكتبت مصر بدماء المكافحين من أبنائها صورة رائعة من صور الحرب الشاملة يحذقها شعب مصر منذ قرون ، قبل أن تمارسها ستالينجراد فى مكافحة النازية سنة ١٩٤١ .

هى طريقتنا وإلينا تنسب : شعب حر ، فى وطن حر ، يؤمن بنفسه ، وبأن الحرية من حقه ، وبأن التضحية فرض عليه فى سبيل حريته . .

من مصر ، ومن بورسعيد ، يضرب المثل ، لا من ستالينجراد ، لأننا قبل ستالينجراد ، وبعد ستالينجراد ، أصحاب فكرة الحرب الشاملة من حى إلى حى ، ومن شارع إلى شارع ، ومن دار إلى دار ، ومن كل سطح ونافذة وشجرة وحفرة ، حتى يحق على العدو البوار .

وكانت بورسعيد هى المثل الأخير لهذه القاعدة ، وحمت بكفاحها العظيم ، قناة السويس ، ومصر ، والعروبة كلها ؛ وفرضت على بريطانيا وفرنسا الهزيمة والعار !

تطور المعركة

بريطانيا ذات الأساطيل والقوة والعتاد والجيوش الضخمة فى الجو والبحر والبر ، ومن ورائها فرنسا وإسرائيل ودول أخرى ... قد انهزمت فى البر والبحر والجو أمام طائفة من قوات المقاومة الشعبية فى بور سعيد!

فهل تستسلم بريطانيا وفرنسا ومن وراءهما من دول الاستعمار الظاهرة والمستترة ؟

إن بضعاً وستين دولة من دول العالم ، تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، تناشد بريطانيا وفرنسا أن تكفَّا عن عدوانهما ، ولكن بريطانيا وفرنسا لا تكفان ، لأنهما لا تريدان أن تعترفا بالهزيمة ...

لقد أذلتهما مصر بعد اعتزاز ، وأكرهتهما على مطأطأة الرأس بعد شموخ ، فليس لهما طاقة بعد ذلك على الاعتراف بالهزيمة والانسحاب ؛ يجب أن تمضيا فى

عـــدوانهما إلى غايته وإلا هلكتا هلاكاً لا قيــامة لهما بعــده !

وتتوالى الإمــدادات على بريطانيا وفرنسا من البر والبحر والجو ، وتتلاحق بوارجهما وحاملات طائراتهما فى البحر وفى الجو بالعديد من الجنــد والعتاد وأسباب التقتيل والدمار ، لعلهما أن تكسبا نصراً يرد إليهما بعض الهيبة أو يدفع عنهما بعض مذلة الهزيمة ...

ومصر صامدة فى موقفها ، تقاوم بعنف ، وبخشونة ، وبفدائية لم يعرف لها التاريخ مثيلا فى معركة غير متكافئة القوى كمعركة بور سعيد ...

وترى دول العــالم أن استمرار بريطانيا وفرنسا فى حماقتهما لابد أن ينتهى بهما وبالعالم إلى شر غير محــدود النتائج ، فتقرر دول العالم مرة أخرى أن تكف بريطانيا وفرنسا ، لأنهما إن لم تكفا فإن الشر المنتظر لن يقتصر عليهما وحدهما ، ولا بد أن يتعــداهما إلى دول كثيرة فى الشرق والغرب ...

ستتحطم أنابيب البترول وتخرب آباره ، فلا تجد أوربا دفءاً ولا وقودا للصناعة . . .

وستنسد قناة السويس إلى الأبد ، فلا يكون ثمة طريق مسلوك بين الشرق والغرب ...

ستشتعل الشرارة فى الشرق كله فيحمل كل شرقى فى أفريقيا وآسيا سلاحه ليحارب العدوان الغربى ...

سينتهز الاتحاد السوفيتى هذه الفرصة المتاحة ، فيثب من فوق الستار الحديدى الذى ضربه عليه العالم الغربى ، ثم يمضى فى زحفه إلى الأمام فلا يقف حتى يبلغ شاطىء الأطلسى ، ولا يكون ثمة إلا عالم واحد يسيطر عليه النظام السوفيتى ، وبقية من العالم المنهار على الشاطىء الغربى من ذلك المحيط يتربص بنفسه مثل مصير أوربا والشرق !

من أجل اتقاء مثل هذه النتائج كان قرار هيئة الأمم المتحدة ، قبل أن يكون من أجل الحق والعدل والدوافع الإنسانية !

ولكن بريطانيا وفرنسا لم ترعويا ، لا من أجل الحق والعدل والدوافع الإنسانية ، ولا من خشية تلك النتائج الرهيبة . .

إن اللطمة الأليمة التى تلقتها بريطانيا وفرنسا قد أذهلتهما وذهبت برشدهما ، فلم يكن لهما عقل يتدبران به العواقب ، فمضتا فى عدوانهما الباغى على مصر ، ومضت مصر فى كفاحها الرائع ضد العدوان . .

الانذار الرهيب !

وذات مساء ، ونار الحرب مستعرة فى البر والبحر والجو بين مصر والقوات المعتدية ، سلك آذان المعتدين إنذار رهيب ، وجهه الاتحـــاد السوفيتى إلى بريطـــانيا وفرنسا ومن وراءهما من دول الاستعمار الظـــاهرة والمستترة ...

إنذار مهول ، لم يوجه مثله إلى أمة من أمم الأرض على امتداد التاريخ فى أى حرب من حروب البشر !

إن القذائف الروسية الموجهة ، تستطيع أن تنطلق من موسكو ذات صبـــاح أو ذات مساء ، إلى لنـــدن وباريس ، وإلى غير لنـــدن وباريس من عواصم الاستعمار ، فتدكها دكا على رءوس من فيها ؛ فلا تكون ثمة بريطـــانيا ، ولا فرنسا ، ولا غير بريطانيا وفرنسا من دول الاستعمار !

هكذا كان الإنذار ، أو كما كان ...

وتلاحقت النذر :

المقاومة الشعبية فى بور سعيد تصنع المعجزات ، فليس فى شوارع المدينة شبر من أرض إلا وقدخضبه الدم ، فما يتقدم العدو خطوة إلا بثمن غال من أرواح جنوده وقادته ، فأينما التفت الناظر رأى رمما وأشلاء ودخان بارود وبقايا معركة ...

والشعب البريطانى فى بلاده ثائر على حكومته ، ساخط على مافعلته فى مصر ؛ لا إنصافاً لمصر ، بل خوفاً على نفسه ، وعلى عيشه ، وعلى مستقبله ، من عواقب ذلك العدوان الغاشم على شعب يحسن المقاومة ويملك كل الوسائل لتأديب المعتدين على أرضه وعرضه وكرامته ...

وبضع وستون دولة من دول الأرض ، قد هالهم ماحدث ، وتوقعوا أهوالا أشـــد توشك أن تصيبهم

بالضرر ، فانهم ليصرخون فى كل بوق لتكف بريطانيا وفرنسا عما بدأتا من عدوان ...

والولايات المتحدة الأمريكية ، الصديقة العزيزة ، والحليفة المعينة لبريطانيا وفرنسا ، والأم الرءوم لإسرائيل – تفكر فى نتائج بعيدة لم تخطر على عقل الحليفتين الحمقاوين ، فتنذرهما بالخصام إن لم تكفا عن الاستمرار فى العدوان . وخصام الولايات المتحدة معناه الجوع ، والظمأ ، والديون المستحقة ، وانقطاع المعونات المالية المتتابعة ، وأخيراً انهيار حلف الاستعمار المعروف باسم حلف الأطلسى !

والدمار المنتظر . . . الذى يعبر عنه بكل وضوح إنذار الاتحاد السوفيتى ! !

الانسحاب . .

آخر مراحل الهزيمة !

ورأت بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل أنلامناص لهم من التسليم ، فأذعنوا بالتسليم ...

ولكن جنوداً منهم بقوا حيث كانوا من أرض المعركة ، على شاطئ بورسعيد ، وفى سيناء،والعريش، وغزة .

وكان لابد أن يجلوا لكى يزول خطر استئناف القتال وخطر مايترتب عليه من عواقب ...

وكان لابد أن تكرههم دول العالم على الجلاء ، قبل أن تشتعل شرارة من هنا أو شرارة من هناك فيعود خطر استئناف القتال ...

وكان لا بد أن تعاونهم دول العالم على الجلاء ، ليأمن العالم شر استئناف القتال ...

وتقرر تأليف قوة دولية ، ليس من جنودها بريطانى ولافرنسى ولايهودى من إسرائيل ، لتساعد المعتدين على الجلاء ...

وكان ظاهر الرأى أن هذه القوة الدولية إنما تألفت لتكرههم على الجلاء ، ليكون مظهر الإكراه هذا عذراً للمعتدين يستر هزيمتهم أمام شعوبهم ؛ ولكن حقيقة الأمر أن هذه القوة إنما تألفت لتحمى ظهور المعتدين حين الجلاء ؛ ومن أجل هذا وحده كان إصرار بريطانيا وفرنسا على إرجاء الجلاء إلى أن تستكمل هذه القوة عددها لتصير قادرة على حماية المعتدين الجبناء عند الانسحاب !

وكما طلبت فرنسا فى سنة ١٨٠٠ — حين لم تجد بدا من الجلاء عن القاهرة — تأمين قواتها حين الجلاء ،

كان ماحدث فى سنة ١٩٥٦ وطلبت بريطانيا وفرنسا وعصابات إسرائيل إلى الأمم المتحدة أن تحمى ظهورها عند الجلاء ! !

وكان مثلا رائعاً ضربته مصر مرتين ، لدولتين كانتا منذ قريب من أعظم دول الأرض ، مرة لفرنسا « العظمى » فى سنة ١٨٠٠ حين اضطرت جيوش نابليون إلى الانسحاب وطلب الحماية ؛ والأخرى لفرنسا وبريطانيا معا فى سنة ١٩٥٦ حين اضطرتهما مجتمعتين إلى الانسحاب وطلب الحماية كذلك ...

هؤلاء الجبناء ، الذين كانوا يظنون أنهم يستطيعون أن يفرضوا حمايتهم على الأحرار !

ووقفت المعركة ..

وقفت المعركة وكان لابد أن تقف ...

لأن مصر التى ظنت بريطانيا وفرنسا ومن وراءهما من دول الاستعمار أن بضعة أيام تكفى للاستيلاء عليها، قد حاربت المعتدين حرب الإبادة فلم تتخل عن شبر من الأرض إلا بثمنه ؛ فانتهت الأيام الموقوتة للحملة وهى واقفة حيث بدأت ، لم تتقدم خطوة واحدة ، والموت يتربص بها عن يمين وشمال !

ولأن شعب بريطانيا فى بلاده قد أحس بالخطر الذى يتهدده إذا استمرت جيوشه فى عدوانها ، فصرخ فى وجه حكومته : كفى ، قبل أن يهلك جنودنا فى المعركة ، ونهلك نحن من وراء ، جوعاً وبطالة !

ولأن الاتحاد السوفيتى قد أنذر بريطانيا وفرنسا ومن وراءهما من دول الاستعمار ، بأن يرسل قذائفه

المبيدة فتهلك الحرث والنسل، وتأكل الأخضر واليابس، وتقضى على المعتدين وشعوبهم بالموت والدمار!

ولأن دول العالم كلها مجتمعة، قد هالها ماينتظر بريطانيا وفرنسا وينتظر العالم كله وراءهما من الدمار، ومن الفقر والجوع، ومن البطالة وكساد التجارة، نتيجة لانسداد قناة السويس، ولانقطاع البترول العربى عن التدفق ...

والبترول هو الدفء فى بلاد لاتشرق عليها الشمس ...

وهو وقود الصناعة فى بلاد ليس فيها رزق غير الصناعة ...

وهو الوقود للسفن فى بلاد ليس لديها من الطعام والشراب إلا ماتحمله إليها السفن ...

وهو التجارة، لأن التجارة بلا سفن تحمل السلع إلى الأسواق البعيدة ليس لها رواج ...

وهو العمل ، لأن العمل فى أوربا هو الآلة ، والآلة هى الوقود ، والوقود هو البترول ؛ فاذا لم يكن بترول فثمة البطالة ...

وماهى أوربا بكل قوتها وحضارتها وغناها ، إذا كسدت التجارة ، وتعطلت الصناعة ، ووقفت الملاحة ، ولم يجد العامل عملا ، ولا الجائع طعاماً ، ولا المقرور دفءاً ؟ ... هل هو إلا الضعف بعد قوة ، والتخلف بعد حضارة ، والفقر بعد غنى ؟ ... هل هو إلا انهيار أوربا ؟

وفى يدنا أن تنهار أوربا ؛ لأن فى يدنا البترول ! !

وقفت الحرب إذن لكل هذه الأسباب مجتمعة ، وكان كل سبب منها وحده كفيلا بوقف الحرب ؛ وكانت بريطانيا وفرنسا تستطيعان تقدير كل هذه النتائج قبل أن تبدآ عدوانهما فى ٢٩ أكتوبر ؛ ولكن بريطانيا وفرنسا لم يكن لهما عقـــل تفكران به قبل

٢٩ اكتوبر ؛ وهما اليوم ، بعد هـــذه الهزيمة الساحقة المذلة ، أبعد عن العقل والتدبير والسداد ! ...

وتكونت الفرقة الدولية لتحمى انسحاب المعتدين من أرض الوطن ، ليذهبوا من حيث جاءوا بلا رجعة !

ما بعد المعركة ..

ثم ماذا بعد هذا ؟

هل انتهت المعركة ؟

هل يرعوى المعتدون عن غيهم فلا يحاولوا استئناف العدوان ؟

هل انتهت أسباب الخصام بين مصر والدول المعتدية ؟

بلى ، قد جلا المعتدون عن بلادنا وعادوا من حيث جاءوا والخزى فى وجوههم والعار على رءوسهم .

وستجلو القوة الدولية وتعود من حيث جاءت ، مشكورة مأجورة على حمايتها لظهور الأعداء المنسحبين.

فهل انتهى بذلك كل سبب بيننا وبين الاستعمار ؟

ولكن تلك المعركة ، أو تلك الجولة التى انتهت من جولات المعركة ، قد تركت آثاراً فى بلادنا ...

تركت على أرض الوطن ضحايا أعزاء ، كانوا أرباب أسرات تعتز بهم ، ففقدتهم أسراتهم إلى الأبد.

ترملت نساؤهم ...

يتم أطفالهم ...

تعطلت أعمالهم ...

خلت منهم مرافق كانوا يقومون عليها لأنفسهم ولغيرهم ...

أقفرت منهم مجالس كانوا يعطرونها بعبير أنفاسهم.

هؤلاء الضحايا الشهداء ، لن يعودوا أحياء يعيشون بين الناس ويدبون على الأرض .

إنهم لم يكونوا معتدين ولم تكن أمتهم معتدية ؛ وإنما كانوا أحراراً يدافعون عن أنفسهم ، وعن وطنهم ، دفاع الأحرار عن أنفسهم وعن أوطانهم ؛ بهذا شهد العالم كله ...

بهذا حكمت محكمة الأمم المتحدة ...

فهل انتهى كل ما بيننا وبين الاستعمار من أسباب إذا رحلوا وخلفوا وراءهم أولئك الضحايا ، وأسرات أولئك الضحايا ، والشعب الجريح الذى ينتسب إليه أولئك الضحايا ؟

- ١ -
شهداء الحرب

من يعوض أولئك الشهداء عن حياتهم ، إن كان للحياة عوض ؟ ...

من يعوض الأيامى عن أزواجهن الذين فقدنهم ؟

من يعوض اليتامى عن آبائهم الذين ماتوا ؟ ...

من يعوض الشعب الجريح عن ضحاياه الذين استشهدوا فى سبيل الكفاح ، والذين ماتوا غدراً تحت أنقاض البيوت المهدمة ؟

من يعوضه عن قتلاه من الرجال ، ومن النساء

والشيوخ والأطفال ، ومن كل شهيد تحت الأنقاض أو تحت السلاح ؟ ...

هيهات هيهات العوض !

ولكننا لن نكف عن طلب العوض ! ...

هذه أول ديون المعركة على المعتدين الأنذال ، يجب أن يؤدوها إلى أربابها ، وإلا فإن المعركة لم تنته بعـــــد ...

– ٢ –

التعويضات المدنية

هذه البيوت التى تهدمت ...

هذه الطرق التى كانت مستقيمة مستوية للراجل والراكب ، فصارت حفراً لايسلك فيها السالك فى ليل ولا فى نهار ...

هذه الأرصفة البحرية التى كانت تستقبل كل يوم

عشرات أو مئات من سفن الدول المختلفة فتعين على ربط التجارة العالمية فصــارت أنقاضاً لا ترسو عليها سفينة ...

هذه المدن التى دمرتها قنابل العدو فصارت كومات من تراب وحجارة وأشلاء ...

هذه الأسوار التى كانت تحمى أهل كل دار عن عيون الناس فانكشف وراءها أهل الدار لعيون الناس...

هذه المرافق العامة التى كانت تنفع الملايين فتعطلت...

هذه المعاهد التى كانت تبشر بالخير والسلام لناشئة الغد فتهدمت ...

هذه المصانع التى كانت تنتج إنتاجها لرفع مستوى معيشة الملايين فتخربت ...

هذه الخرائب المتفرقة فى كل مكان ...

من يعيد بناءها ؟ من يرد إليها ساكنيها ؟ من ينشر

عليها لواء السلام بعـــد كل مانالها ونال أهلها من الذعر والخراب ؟...

هذه الخسائر المدنية لابد من تعويضها ، ونحن نلح فى طلب تعويضها ...

لقد حكمت محكمة الأمم المتحدة بأن بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل كانوا معتدين بما أحدثوا من هذا الخراب ؛ وعلى كل معتد تعويض ماتخرب بعدوانه ؛ فعلى هؤلاء المعتدين الأنذال أن يؤدوا إلينا تعويض هذا الخراب ، وإلا فإن المعركة لم تنته بعد ...

– ٣ –

التعويضات العسكرية

والعتاد الذى فقدناه فى المعركة دفاعاً عن أنفسنا ، وعن وطننا ، وعن حرياتنا ...

السيارات التى تعطلت عجلاتها على الطريق والتهمتها النـــار ...

الدبابات التى خرجت لتكون حصناً يحمينا فدمرتها قذائف العدو وتركتها حديداً على الرمال ...

السفن التى أغرقتها قذائف العدوان فعطبت أو استقرت فى جوف البحر ...

كل ذلك من عتاد الحرب لم نكن به معتدين ، وإنما كنا ندافع عن أنفسنا ، وعن حرياتنا ، وعن كرامة وطننا ؛ وكان الإنجليز والفرنسيون ويهود إسرائيل هم المعتدين .

حكمت بذلك محكمة الأمم المتحدة ، فلنا على المعتدين حق التعويض عما تلف أو استعمل من عتاد ... عليهم أن يؤدوه إلينا كاملا ، وإلا فإن المعركة لم تنته بعد ...

– ٤ –

محاكمة مجرمى الحرب

وفى يوم من أيام سنة ١٩٤٥ – وكانت بريطانيا وفرنسا منتصرتين ، أو فى حكم المنتصرتين ، فى حرب

عالمية كبيرة – تقرر قانون دولى عام ، اعترف بقانونيته رئيس حكومة بريطانيا ، واعترف بقانونيته رئيس حكومة فرنسا ، واعترف بقانونيته رؤساء الحكومات فى كل البلاد التى يصفونها بأنها بلاد العالم الحر ...

وينص هذا القانون على محاكمة الزعماء الذين يبدءون حرباً عدوانية على شعب من الشعوب أو وطن من الأوطان ، ويعتبرونهم مجرمى حرب ، يقضون فى أمرهم كما تقضى كل محكمة فى شأن المجرمين لتأخذهم بجرائمهم ...

وبمقتضى هذا القانون انعقدت محكمة دولية كبيرة فى ذلك التاريخ القريب ، وحاكمت زعماء وحكمت عليهم ، وأطلقت الرصاص على صدور بعضهم ، أو على رءوسهم ؛ وألقت بعضهم فى غيابات السجون ، وجردت بعضهم من كل الحقوق الإنسانية التى يتمتع بها البشر فى المجتمع ... وكان من قضاة هذه المحكمة ومن شهودها ، بريطانيا وفرنسا ، وكان منهم يهود ينسبون اليوم إلى إسرائيل ...

وقد حكمت محكمة الأمم المتحدة بأن إيدن الإنجليزى ، وجى موليه الفرنسى ، وبن جوريون اليهودى الصهيونى ، ومن وراءهم من أهل الجريمة ، قد اقترفوا عدواناً أثيما على مصر ، أزهقوا به أرواحاً بريئة ، وروعوا آمنين ، وأخربوا مدناً عامرة ، وعطلوا مرافق عامة ، وعرضوا العالم لشر مستطير جامح لايبقى ولايذر ...

فقد وجب إذن بمقتضى حكم الأمم المتحدة ، وبمقتضى قانون مجرمى الحرب ، وبمقتضى اعتراف المجرمين أنفسهم بهذا القانون ...

وجب أن يحاكم أولئك المجرمون ، وأن يدمغوا بالجريمة ، وأن يحكم عليهم كما حكم على نظراء لهم فى فى سنة ١٩٤٥ ، بالموت ضرباً بالرصاص ، أو بالشنق ، أوبالدفن فى غيابات السجون ، أو بالتجريد من كل الحقوق الإنسانية فى المجتمع الذى يعيشون فيه ...

فإما حدث هذا ليؤمن العالم بأن الناس جميعاً أمام

« القانون » سواء ، وإلا فإن المعركة بيننا وبين الاستعمار لم تنته بعد ...

— ٥ —

القلوب المحترقة

وغداً أو بعد غد ستلمع الأضواء فى الشوارع وفى النوافذ التى أطفأ الاعتداء نورها ؛ ولكن آلاف العيون ستظل فى الظلمات تدمع من أجل الأحباب الذين ذهبوا ولم يعودوا ...

ستظل آلاف القلوب تخفق فى ألم وحسرة والتياع من أجل الضحايا الذين ماتوا مختنقين تحت الأنقاض ، أو غرقى فى الدماء ...

سيظل آلاف الصغار محرومين من الأبوة ، أو من الأمومة ...

سيظل مئات الأيامى محرومات من أنس العشير ...

ستظل آلاف الأمهات ثاكلات باكيات ، كل أملهن أن يلتقين فى الآخرة بمن فقدن من أبنائهن الشهداء ...

ستظل آلاف الدعوات على الألسنة ، وآلاف الابتهالات فى القلوب ، وآلاف الصور فى ذاكرة كل من رأى أو سمع أو عرف قصة ذلك العدوان الأثيم ...

تلك العيون الدامعة ، وتلك القلوب المحترقة ، وأولئك البائسون المحرومون من الثواكل والأيامى واليتامى والأحباب ، لابد لهم من تعويض ...

تعويض إنسانى يرد إلى قلوبهم بعض الهدوء ، وإلى نفوسهم بعض الرضا ، ويرقأ الدموع المتقاطرة على وجناتهم ، والوجيب الذى تخفق به قلوبهم ...

وتعويض مادى ، يساعدهم على السلوان ، ويغسل قلوبهم من البغضاء ومرارة الذكريات الأليمة ...

تعويضات إنسانية ومادية لابد منها ، لترد أولئك المرزوءين وأبناءهم من بعدهم عن طلب الثأر ، وإلا فإن المعركة لم تنته بعد ...

نتائج المعركة

تلك المعركة التى بدأها المعتدون وأكرهونا على أن نخوضها ، ماذا كانوا يستهدفون من ورائها وماذا كنا نستهدف ؟ ...

- ١ -

قوة الشعب

أما العدو فكان يأمل أن تنحل عروة الشعب ويملأه الرعب ، فيتخلى عن جمال عبد الناصر ؛ وإذا تخلى عن جمال عبد الناصر فقد أتيحت الفرصة لطائفة من صنائع الاستعمار يثبون إلى الحكم لإنقاذ مايمكن إنقاذه - كما يمكن أن يقال - فيأمن الاستعمار لأن عدوه الأول فى الشرق العربى قد ذهب ، ويزداد أماناً بأن أولياءه وأصفياءه وصنائعه هم الذين يحكمون ويقبضون على أزمة الأمور ، فلا خوف على الاستعمار بعد من وحدة

العرب ، ولا من قوة العرب ، ولا من نهضة اقتصادية ترفع مستوى العرب ، ولا من انتفاضة قوية تطرد بقايا المستعمرين من أرض العرب !

كان ذلك أول أهداف العدو فماذا بلغ من أمره ؟

لقد عرف الشعب أعظم المعرفة جمال عبد الناصر فى هذه المعركة ، فجعله فى أرفع مكان وأحصن مكان يمكن أن يكون فيه قائد أوزعيم ؛ وكان قبلها زعيما لمصر ، فصار زعيما للأمة العربية جميعاً ؛ والتفت الأمة العربية كلها حوله ، فاذا الهتاف باسمه على كل فم ، والتقدير له فى كل قلب ؛ وإذا هدفه هو الهدف ، وغايته هى الغاية ؛ وإذا العرب وراءه أمة واحدة ، على رأى واحد ، إلى هدف واحد ، قد تماسكت وتراصت واجتمع بعضها لبعض ، فلا أمل بعد اليوم للاستعمار أن ينفذ إليها من سبيل !

وتحقق لنا أعظم هدف وخاب تدبير العدو !

- ٢ -

انتهت الهدنة

وكان العدو يأمل أن يتيح لعصابات إسرائيل فرصة للتوسع ، تملك بها ماتملك من أرض العرب ، إلى قناة السويس ، وإلى ماوراء الأردن ، وإلى ماشاءت من أرض سوريا ولبنان ؛ لتأمن وتغنى وتطمئن ، ويكون لها منفذ على البحر من فوق ومن تحت ؛ وتكون معركتها امتداداً لمعارك سنة ١٩٤٨ ، لتصنع لنفسها حدوداً جديدة ، لاتكون فيها خطوط هدنة ، ولامنافذ للفدائيين ، ولا حصار اقتصادى ؛ فتملى سياستها كما تشاء ، وتفرض سلطانها على الوجه الذى تريد ، وتغمر الأسواق العربية بإنتاجها وإنتاج غيرها من دول الاستعمار ، فتنتعش وتقوى وتسيطر ، ويكون الانحلال الكامل للأمة العربية .

كان بلوغ هذا الهدف يملأ يقين بن جوريون ، ويقين إيدن وجى موليه ، حتى وقف رئيس

العصابات الصهيونية ذات يوم يخطب فى برلمان عصابته ليقول : « إن الهدنة التى انعقدت بيننا وبين العرب فى سنة ١٩٤٩ قد انتهت إلى الأبد ! » .

وصدق بن جوريون فى هذه الكلمة وحدها ، ولكن على وجه آخر غير الوجه الذى يعنيه .

لقد اختار هو — لا أحد غيره — أن يمزق وثيقة الهدنة التى فُرضت على العرب كرها فى سنة ١٩٤٩ ، فليبحث لنفسه ولقومه منذ اليوم عن ملجأ آخر يعصمهم من الهول المنتظر غير أرض فلسطين العربية . إن تلك الهدنه هو الذى طلبها سنة ١٩٤٩ ، و هو الذى أنهاها بعدوانه وبكلمته هذه فى سنة ١٩٥٦ ، وقد رضينا بإنهائها ، لنبدأ من حيث كنا يومئذ ، تصديقاً لقوله ، فإن قدر فليثبت على كلمته أو فليثبت فى موقفه !

وهذه المعركة — فيما يقال — قد انتهت ؛ فماذا تحقق للصهيونيين من هدفهم ذاك ؟

إن الذى حققته الصهيونية من مكاسب بهذا العدوان قد أفلتت من يدها ، فعـــادت سينا إلى مصر ، ولا بد أن تعود غـــزة ، وترتد جيوش العصـــابات الصهيونية إلى حيث كانت وراء خطوط الهـــدنة التى مزقوا وثيقتهـــا ؛ فليس بيننا وبينهم منذ اليوم هـــدنة ؛ فهل يستطيعون أن يثبتوا طويلا فى المعركة المنتظرة ، أم سيزعمون حين يرون الزحف أننا نحن الذين نكثنا بعهد الهدنة ؟ .

فهذا هدف آخر كان يستهدفه المعتدون بعدوانهم قد خابوا فيه كما خابوا فيما قبله ، وانتصرت مصر .

— ٣ —

القنـاة عليهم حرام

وكان العدو يأمل وقد أفلتت قناة السويس من يده ، أن يردها إليه هذا العدوان ، ليعود هو دون غيره حاميها وسيدها وصاحب السلطان عليها ، يجيز من

يشاء ، ويمنع عن المرور من يشـــاء ، له الأتاوة كلها على كل مجتاز وليس عليه من الغرم شىء ، وتمضى سفن إنجلترا وفرنسا ومن وراءهما من دول الاستعمار صاعدة وهابطة لا يردها أحد ولا يطلب إليها أن تؤدى أجراً ، والشاطئان ومن يعيش عليهما من الناس ملك لها ، يتصرفان فيهما وفيمن يسكن عليهما تصرف السادة فى عبيدهم وفيما يملكون ، وتنحل الأزمة التى نشبت بينهما وبين مصر ، فلا مفاوضات ، ولا اشتراطات ، ولا شىء مما يكدر الصفو وينغص ويقلق . . .

كان هذا أملا آخر تأمله بريطانيا وفرنسا ومن وراءهما من دول ظاهرة أو مستترة ؛ فماذا تحقق للمعتدين من ذلك الأمل ؟ .

لقد انسدت القناة . . . غرقت فيها سفن الأسطول البريطانى العتيد ، ورسبت فى قاعها رسوباً لا يمكن أن

تطفو بعده ؛ فليحاولوا أن يمروا فيها اليوم بمراكب صيد إن وجدوا منفذاً لمركب صيد ! .

لقد صار حتما على بريطانيا العظمى — إن كانت لم تزل حريصة على أن توصف بالعظمة — أن تمر سفنها بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح ، فليس ينفعها بعد اليوم شيئاً أنها تحتل عدن، وتقبض على باب جبل طارق . . .

انسد الحلقوم بانسداد قناة السويس ...

السفن التى كانت تصل بين بريطانيا والشرق فى ستة أيام ، قد صار عليها أن تمضى فى رحلة طويلة تحتاج إلى ثلاثين يوماً، إن أطاقت أو وجدت وقوداً أو بضاعة ...

البضائع التى كانت تحملها سفن الأسطول البريطانى العتيد عبر القناة ، قد تضاعفت نفقات حملها مرات بطول الطريق وغلاء الوقود ، فليس لها منذ اليوم سوق تنافس فيه غيرها من دول التجارة . . .

البترول الذى كان يدير مصانعها ويدفئ بردها

ويسير به أسطولها وسياراتها وطائراتها ودباباتها ، والذى كانت تنقله عبر القناة ، ليس له منذ اليوم طريق فى القناة ، فعليها – إن وجدته – أن تطوى به الأرض صاعدة وهابطة ، حتى تصل به إن وصل ولم تأكله السفن وقوداً فى الطريق الطويل ! .

لقد كانت سفن بريطانيا وفرنسا تمر من قناة السويس فى أمان واطمئنان ، فلم يكفهما هذا وطمعتا فى أن تكون لهما قناة السويس نفسها ؛ فاليوم لا قناة السويس ، ولا مرور من قناة السويس ؛ لأن قناة السويس مسدودة ؛ ولأننا لا يمكن أن نأذن لعدونا الغادر بأن يمر من قناتنا ، فى وسط أرضنا !

– ٤ –

دعم القومية العربية

وكانت بريطانيا وفرنسا تأملان إذا قهرتا مصر ،

أن تخر الدول العربية كلها راكعة تطلب الأمن والسلامة ، فاذا هى جميعاً تحت النفوذ البريطانى الفرنسى ، تتحكم فيها الدولتان الباغيتان ما شاء لهما التحكم ، وتعود كل الأوطان العربيـــة مستعمرات بريطانية وفرنسية ، و . . . صهيونية ، من النيل إلى الفرات ، أو من شاطئ المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، كما كانت ذات يوم ، قبل أن تشملها هذه اليقظة ؛ ولكن بريطانيا وفرنسا لم تكادا تبدآن عدوانهما على مصر العربية ، حتى اجتمع رأى الأمة العربية كلها على الجهاد ، من المحيط إلى شاطئ الخليج ، فاذا فى كل صدر عداوة تشتعل ، وفى كل يد بندقية تصوب ، وفى كل قلب تصميم وعزيمة . . .

وصارت القومية العربية حقيقة ماثلة ، وكانت حلماً من الأحلام . . .

— ٥ —

بترول العرب للعرب

وكانت السيطرة على منابع البترول العربى هدفاً من أهداف الدولتين المعتديتين ، لتكون لهما آباره وأنابيبه بلا ثمن ولا مئونة ، وكان لهما من قبل بثمن ومئونة ؛ فلما وقع العدوان ، تحطمت أنابيب البترول العربى فى كل منبع من منابعه ، فى العراق ، وسوريا ، والبحرين ، والكويت ، ولبنان ؛ فلم يبق أنبوب واحد ينقل قطرة من بترول العرب إلى بريطانيا ، أو إلى فرنسا ، أو إلى غير بريطانيا وفرنسا من جيرانهما . . .

وأشرفت بريطانيا وفرنسا ودول غرب أوربا جميعاً على الإفلاس !

وعرفت مصر ، وعرف العرب ، أى قوة يملكون بامتلاك منابع هذا البترول ، فبدءوا يفكرون

فكراً جديداً لاستغلال هذا البترول ، بأيديهم ، لا بأيدى عدوهم ... ...

* * *

هذه هى النتائج العظيمة التى حققتها بريطانيا ، وفرنسا ، بعدوانهما هذا الجرىء على مصر ؛ فما هى النتائج التى تحققت لمصر ، والعرب ، من هذه الغارة العدوانية الجريئة ؟ .

– ٦ –
انهيار حلف بغداد

وكانت بريطانيا ومن وراءها من دول أخرى تأمل حين يتحقق لها بالعدوان الاستيلاء على مصر وعلى القناة ، أن تدعم حلف الغدر والجريمة الذى تسميه حلف بغداد ، فتصير كل الدول العربية وغير العربية حليفات فيه ؛ تستظل بعلم بريطانيا ، وتتهيأ للحرب فى صف بريطانيا كلما هم أحد أن يلوح بالحرب لبريطانيا . . .

ولكن بريطانيا لم تكد تبدأ عدوانها حتى أساء شعوب حلف بغداد الظن ببريطانيا، وتواروا خجلا من فعلتها ، فاذا حلفاؤها الخائبون من أنقرة وبغداد وطهران ولاهور يجتمعون فى طهران ليتهامسوا فيقول بعضهم لبعض : لقد سوّدت بريطانيا وجوهنا فى نظر شعوبنا ؛ فما نستطيع إلا أن نبرأ منها ومن حلفها ، احتفاظا بما بقى عند بعض شعوبنا من حسن الظن بنا ...

ويطول اجتماعهم وتهامسهم ، ثم ينتهون إلى رأى، هو أن يظل الحلف قائماً بين الخائبين الأربعة ، يجتمعون له حين يشاءون ولا يحضر اجتماعاتهم مندوب لبريطانيا، لكى يكون غيابه عن هذه الاجتماعات براءة ظاهرة من فعلة بريطانيا ؛ أو كما قالوا . . .

ولكن هذه البراءة الظاهرة من بريطانيا وجريمتها ، لا يمكن أن ترضى شعوباً حرة فى العراق ، وفى إيران، وفى باكستان؛ فتثور ثائرة هذه الشعوب على حكوماتها،

يطلب كل منها فسخ الحلف ، وقطع العلاقات مع بريطانيا ...

وكان أشدها ثورة شعب العراق الحر ، الذى ينتسب حلف بغداد إلى عاصمته ، فقد قام كله قومة واحدة فى وجه صنائع الإنجليز فى بلاده ، وأخذت ثورته تشتد ، وتزداد اشتعالا ، حتى تكاد تلتهم كل نفوذ بريطانى وكل ظل بريطانى .

– ٧ –

الوحدة السورية الأردنية

وكانت بريطانيا تأمل أن يحقق هجومها على مصر فرصة لحليفها المتربع على أريكة بغداد ، ليزحف بجيوشه على سوريا فيملكها ، ثم ينفذ منها إلى الأردن فيقتسم أرضها شركة بينه وبين عصابات إسرائيل ؛ فلا يكون ثمة إلا العراق ، حليف بريطانيا ، والاإسرائيل ، سمسار بريطانيا . . .

وبدأت خطة العدوان فى ٢٩ أكتوبر بعمليات تمهد لهذه الغاية ؛ فزحفت فرق من جيش العراق إلى حدود المملكة الأردنية الهاشمية ، قبل بدء العدوان بأيام ؛ وقال بعض الذين كانوا يحسنون الظن بحكومة بغداد يومئذ : إن العراق الشقيق يتأهب لمعونة شقيقته الأردنية الهاشمية ، إذا همّ يهود إسرائيل بعدوان جديد عليها ! . . .

وقال الذين يسيئون الظن : بل إن العراق يدبر خطة لإكراه الحكومة الأردنية على التخلى عن صداقاتها العربية الجديدة ، لتعود – كما كانت فى الماضى القريب – قاعدة بريطانية ، مثل القواعد البريطانية فى العراق وتركيا ...

ولم يكن الأمر كما قال هؤلاء ولا كما قال أولئك ؛ إذ كان ذلك الزحف جزءاً رئيسيا من خطة العدوان نفسها ؛ فقد كان أول المبررات التى أذاعها يهود

إسرائيل عقب ذلك ليسوغوا زحفهم على سيناء تمهيداً للغزو البريطانى الفرنسى ، هو قول رئيس العصابات الصهيونية فى بلاغ رسمى أذيع فى يوم ٢٩ أكتوبر : إن تحرش الدول العربية بإسرائيل — وبرهانه زحف العراق إلى الحدود الأردنية — يفرض على إسرائيل أن تلتمس أسباب الدفاع عن نفسها بالزحف على سيناء !

فقد كان زحف العراق إذن جزءاً من خطة الغزو ، ليجد يهود إسرائيل مبرراً لفعلتهم ؛ وكان ذلك آخر ما يمكن أن يبلغه سوء الظن بسادة بغداد ، وحلفائهم سادة أنقرة ...

وثمة سبب آخر ظل سرا مستوراً حتى كشفت عنه بعض الأحداث ؛ فقد ثبت أن سادة العراق ، وسادة أنقرة ، قد دبروا مؤامرة كبيرة لإحداث انقلاب فى سوريا ، فى الوقت الذى يبدأ فيه العدوان الثلاثى على مصر ؛ وكان المقصود من وراء هذا الانقلاب أن تصير مقاليد الأمور فى سوريا إلى أيدى زعماء حلف بغداد

الاستعمارى ، لتنفصل سوريا عن مجموعة الأمم العربية المتحررة ، وتنضم إلى المجموعة البريطانية ؛ وكانت وسيلة هذا الانقلاب نقل كميات كبيرة من العتاد والذخائر الحربية إلى داخل الحدود السورية وتوزيعها على بعض قبائل البادية وبعض العناصر المأجورة ، لتبدأ فتنة داخلية تشتغل بقمعها حكومة الجمهورية السورية ، فينتهز سادة بغداد ، وسادة أنقرة ، الفرصة التى مهدوا لها ، ويغزون سوريا وهى متفرقة القوى لا تملك سبيلا إلى المقاومة ؛ فتسقط سوريا فى أيدى سادة بغداد ، وسادة أنقرة ؛ وما أيسر أن تسقط بعد ذلك المملكة الأردنية أو تقتسمها العراق ويهود إسرائيل ؛ أو بعبارة صريحة : تقتسمها بريطانيا ويهود إسرائيل !

وإذن فقد كان من أهداف ذلك العدوان أن تتمزق الوحدة السورية الأردنية ، لتوهين الجبهة العربية المتحررة ، التى تتزعم حركة مقاومة الاستعمار فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى ...

ولكن الحرب لاتكاد تبدأ ، حتى تجتمع سوريا والمملكة الأردنية على خطة مشتركة للمقاومة . وتتفتح العيون على الجيش العراقى الزاحف من الشمال ، فتقطع القوات السورية عليه الطريق ؛ ثم تكتشف العيون السورية اليقظة ، الأسلحة والعتاد الحربى البريطانى العراقى التركى المتسلل إلى داخل الأراضى السورية ، وتنكشف المؤامرة ، وتحبط ، ويقع المتآمرون فى شر أعمالهم ، وتبدأ ثورة الشعب العراقى الحر على حكومته ، وتدمر أنابيب البترول العراقى البريطانى ، وتشتعل نيران ثورة هائلة فى كل بلدان العراق ؛ ويضطر الجيش العراقى إلى العودة إلى قواعده البريطانية ليشارك فى قمع الثورة... وتمضى المملكة الأردنية فى سياستها المتحررة ، فتلغى معاهدتها مع بريطانيا . وتبدأ ضد البريطانيين حرب جديدة فى تلك المنطقة الواسعة ! !

* * *

تلك هى النتائج التى حققتها بريطانيا المشئومة على نفسها ، وهذه هى النتائج التى تحققت لمصر والعرب :

* كانت فرصة لظهور القومية العربية ...

* وكانت اختباراً عرفت به الأمة العربية قوتها وإمكانها وماتستطيع أن تحققه من معجزات ...

* وأظهرت ماكان فى بعض العناصر التى تنتسب إلى العرب من زيف ، فتهيأت الفرصة لكى تعالج الأمة العربية نفسها وتنفى عن معدنها الأصيل كل خبث..

* وأظهرت الشعب العراقى على الحقائق البشعة التى كان زعماء العراق يحاولون أن يخفوها عنه ؛ فكان ظهورها أول أسباب نهضة عراقية كاسحة ، للخلاص من الفئة المتسلطة التى تريد أن تربطه إلى عجلة الاستعمار إلى الأبد !

* وعرفت الأمة العربية — عملياً — أى قوة هائلة تملك بامتلاكها للبترول ...

* ولقيت مصر خاصة ، تجربة عظيمة القيمة ، عرفت منها مدى ماتملك من قوى مادية ونفسية ...

* وكان الأثر كبيراً فى تقوية الروح المعنوية للمكافحين فى سبيل التحرر ، من شعوب الجزائر ، وعدن ، وحضرموت ، والبحرين ، وعمان ؛ ومن شعوب قبرص ، وأيرلنـــدا ، وغيرها من الشعوب المكافحة للحرية والخلاص .

وعلى الجملة ،خسرت بريطانيا وفرنسا كل ماكان فى أيديهما من خير الشرق ، ومن أمل فى الشرق ؛ وكسبت مصر والعرب كل ماكانت ترجوه ، وأكثر مما كانت ترجوه ، من خير المستقبل وأمل المستقبل ...

وإننا لنشهد اليوم ماتعانيه بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل من آثار الأزمة الاقتصادية الخانقة التى توشك أن ترمى بها جميعاً فى وهدة الإفلاس والتبطل والمرض

والجوع ، فنشعر شعور المؤمن العميق الإيمان بعدالة الله القوى العزيز ، ونردد مع جميع المكافحين فى سبيل المثل الإنسانية العليا :

الله أكبر !

الصهيونية الأمريكية !

وكانت بريطانيا دولة « عظمى » ، لاتغيب عن أملاكها الشمس ، ولايعوق أسطولها عائق فى بحر من بحار العالم ، ولها فى كل سوق من أسواق الدنيا تجارة ، ولها فى كل مجتمع دولى أصدقاء ورأى مسموع ...

كانت كذلك حتى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ...

ثم كانت خاتمة ذلك المجد كله على يد مصر والعرب ، فإذا هى اليوم على حافة الإفلاس والانهيار المادى والأدبى :

الذين كانوا يحكمون باسمها فى الشرق والغرب يبرءون منها ، وأسطولها العظيم لايملك الوقود ولايعرف له طريقاً فى البحر يسلكه ، وعملتها فى الأسواق العالمية لاتساوى نصف قيمتها ، وبضائعها قد خلت منها المتاجر ، وأصدقاؤها القدماء فى الشرق والغرب يتنكرون لها ، وشعبها يكاد يموت من البرد والجوع ، ويتجرع كئوس المذلة من البطالة ...

وتشعر بمثل شعورها دولٌ من حلف شمال الأطلسى ؛ فتناشد الولايات المتحدة الأمريكية أن تعطف عليها وتصفح عن زلتها وتنتشلها من ورطتها وتقدم لها ولجيرانها من أعضاء الحلف ماتقدر عليه من أسباب المعونة !

•

وتستمع الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذه المناشدة الضارعة ، أو إلى هذه المناجاة المؤثرة ، فتدمع عيون قادتها وزعمائها تأثراً ، ويقولون سرا أو علانية : إن بريطانيا منا ونحن منها ، ولكنها مجرمة ، آثمة ، لأنهـــا سبقت إلى الحرب بغير إذن منا ! !

وتعود المناجاة ، فيقول زملاء بريطانيا فى حلف شمال الأطلسى ، للولايات المتحدة الأمريكية : قد تكون بريطانيا مجرمة آثمة وأنانية حمقاء ؛ فهل نترك شعبهـــا لذلك يتردى فى هاوية الإفلاس ، ويشرف على الموت من البرد والجوع ، ويتجرع كئوس المذلة من البطالة ؟...

ويزداد قادة الولايات المتحدة وزعماؤها تأثراً ، وتزدحم الدموع فى مآقيهم ؛ فيذكرون الروابط « الإنسانية » ، و « الصداقات » القديمة ، والحلف الذى لم يزل يربط بين الشعبين عبر شواطئ المحيط ؛ فتقرر الولايات المتحـــدة الأمريكية ، مساعدة بريطانيا فى محنتها ؛ بالتنـــازل لها عن فوائد ديونها المستحقة ، وعن بعض الديون نفسها ، وتأخـــذ فى بحث الوسائل « لتعويضها » عن بعض مانقصها من بترول العرب !...

* والولايات المتحدة — فيما تزعم — دولة «إنسانية» دائماً ، لاتخضع « إنسانيتها » للاعتبارات السياسية أو غير السياسية ، وآية ذلك أنها هى التى أقامت فى وسط بلادنا دولة مصطنعة اسمهاإسرائيل، عطفاً على اليهود المشردين ، لم تبـــال فى سبيل إيوائهم فى غير وطنهم ، أن مليون عربى من أهل فلسطين سيشردون عن وطنهم نتيجة لإنشاء دولة لعصابات إسرائيل فى فلسطين ...

* وآية « إنسانيتها » كذلك ، أنها تستأنف التفكير

– اليوم – فى اعتماد الملايين من الدولارات الأمريكية لتشترى بها ذمم حكومات الشرق الأوسط ؛ فتضمن بذلك حمـــاية إسرائيل ؛ وتنسى أو تتناسى أنها رفضت فى يوليه الماضى إقراض مصر ما تحتاج إليه من المال لإقامة « السد العالى » ، لأن إقامة السد العالى يساعد على ارتفاع مستوى معيشة الفلاح المصرى ، والعامل المصرى ، وهى لا تريد أن يرتفع مستوى معيشة أحد فى مصر ؛ وإنما تريد أن تضمن البقاء والتمكن لعصابات إسرائيل !

* وآية « إنسانيتها » كذلك ، أنها أكرهت بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل على الانسحاب من مصر ، حين جاءها نبأ الإنذار الروسى الرهيب بتوجيه القذائف الذرية إلى لندن وباريس ؛ شفقة على أهل لندن وباريس !

* وآية « إنسانيتها » كذلك ، إنذارها الشهير إلى إسرائيل ، قبيل عدوانها على مصر ، عطفـــاً على مصر فيما تزعم ؛ ثم إنكارها بعد ذلك أنهـــا كانت على علم بنية ذلك العدوان ، شفقة على إسرائيل !

* وآية « إنسانيتها » كذلك ، أنها كانت أول الدول تبرعاً بالمال لتطهير قناة السويس ، عطفاً على « الدول المنتفعة » من قناة السويس ؛ برغم أن بعض هذه «الدول المنتفعة » لم تقبل المساهمة بنصيب فى نفقات التطهير ؛ محتجة بأن الدول المعتدية هى وحدها التى يجب أن تلتزم بنفقات التطهير ...

* وآية « إنسانيتها » فوق ذلك كله ، أنها سيرت إلى البحر المتوسط – فى أثناء الاعتداء البريطانى على مصر – أسطولا لمكافحة الغواصات ، لتحمى الأسطول البريطانى الذى أقبل ليهاجم الشواطئ المصرية ؛ فلما انتهى العدوان وتقرر انسحاب القوات المعتدية ، انسحب أسطول مكافحة الغواصات الأمريكى من البحر المتوسط ، مطمئناً على سلامة أسطول بريطانيا المعتدى...

* * *

وقد يتساءل بعض الذين يتتبعون أنباء السياسة العالمية

قائلين : ألم تكن هذه « الإنسانية » التى ذكرت آياتها تفرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تفكر فى تعويض ضحايا الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى فى مصر وسيناء وغزة ، قبل أن تفكر فى «تعويض» المجرمين المعتدين وحمايتهم ؟ ...

فنقول لهؤلاء المتسائلين : بلى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، ومن ورائها ، أومن أمامها ، هيئـــة الأمم المتحدة ، لايمكن أن يغيب عنها هذا ؛ ولكن لكل آية من آيات الإنسانية العالمية أو الأمريكية موعده ، وقد حان هذا الموعد يوم تقدم أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بمشروعه الشهير ؛ ليشترى حـــريات دول الشرق الأوسط ببضع مئات من الدولارات ، ليضمن لفكرة الاستعمار بقاء أبديا فى الشرق الأوسط ، بتأمين إسرائيل ! !

تطهير القنـاة

واليوم وقد انتهت الحملة الباغية إلى هذه النتائج، لنا، وعلى عدونا؛ فإن من حقنا أن نسأل: هل انتهت المعركة بيننا وبين الاستعمار بهذا الذى كان ؟

ونعود فنردد الجواب الذى أسلفناه :

إن المعركة لم تنته بعد، بل لعلها لم تبدأ بعد ...

كل مايمكن أن نزعم أننا وصلنا إليه فى القضية التى بيننا وبين الاستعمار بعد هذه التجربة التى فشلت فيها بريطانيا وحلفاؤها، هو أننا قد ارتددنا بالقضية إلى مثل الموقف الذى كنا فيه قبل ابتداء هذا العدوان الآثم فى ٢٩ أكتوبر الماضى؛ مع فارق كبير، هو أن القناة حتى يوم ٢٩ أكتوبر كانت صالحة للملاحة، تستطيع السفن أن تجتازها من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب

إلى الشمال ، لايعوقها عائق ولايعترض سبيلها معترض؛ أما اليوم فإن القناة على ماوصفنا ، لا انتفاع بها لسابح ولا ملاح ، ولاسبيل إلى الانتفاع بها إلا بعد جهد هندسى وعمـــلى كبير ، وبعد نفقة لاطاقة لنـــا بها ، وبعد اتفاق سياسى يضمن لمصر ولغير مصر ألا تكون هذه القناة سبباً ولا معبراً للعدوان بعد اليوم،وبعد وقت يطول أو يقصر ، وهو على طوله أوقصره يهدد مصالح أمم شتى فى غرب أوربا بالإفلاس ، وبالجوع ،وبالموت من برد الشتاء بلا وقود !

نفقات التطهير ...

ثم من الذى يدفع نفقات التطهير وهى تزيد على ملايين من الجنيهات ؟

إن مصر لن تدفع منها مليما واحداً ؛ لأنها أولاً لم تكن هى الدولة المعتدية التى أحدثت هذا الفساد الكبير.

ولأنها ثانياً ليست متلهفة تلهف المحتاج لفتح القناة وهى أبداً مصدر متاعب سياسية وعسكرية لمصر ...

ولأن هذه القناة - ثالثاً - مهما تكن ذات نفع منتظر من إيرادها فإن مانتظره من إيرادها لايساوى شيئاً بجانب مانبذله لصيانتها وحمايتها والدفاع عنها وتوقى المكايد السياسية والعسكرية بسببها !

وإذن فإن الحق والعدل والمنطق والسياسة تفرض علينا ألا ندفع مليما واحداً فى تطهيرها ؛ فمن يدفع إذن؟

أتدفع الأمم المتحدة من رصيدها العام المتجمع من

جملة ماتدفعه الدول الأعضاء على نسبه المتفاوتة ؟...

فأى فائدة تعود على الدول الأعضاء التى لاترجو انتفاعاً كبيراً بالقناة حتى تدفع نصيباً من نفقات هذا التطهير ؟ وماذنبها وذنب الدول المنتفعة وهى لم تشارك فى العدوان الآثم الذى انسدت به القناة حتى تشارك فى نفقات تطهيرها ؟

أمن العدل والمنطق أن يعتدى معتد أثيم فيخرب ويفسد ، ثم يشارك فى أداء نفقات الإصلاح من لم يعتد أو يرتكب إثماً ؟

أتدفعها إذن الدول الحريصة على عودة الملاحة إلى القناة ، لتتوقى بما تدفع ماينتظر أن يصيبها من البرد والجوع والبطالة وكساد التجارة والصناعة ؟

وماذنب هذه الدول كذلك وهى لم تشارك فى إثم ولا عدوان حتى تشارك فى نفقات الإصلاح ؟

إن الحق والمنطق والعدالة تفرض أن تتحمل هذه

النفقات بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل دون غيرهم ..؟

عليهم وحدهم أن يدفعوا نفقات التطهير ، وأن يدفعوا مع هذه النفقات تعويضاً آخر لمصر على تعطيلهم لمرفق من مرافقها العامة ، وتعويضاً كذلك للأمم المنتفعة التى ضيع عليها تعطيل القناة كثيراً من الخير وأصابها بكثير من الضر !

بريطانيا ، وفرنسا ، ويهود إسرائيل ، الذين فقدوا بعدوانهم على مصر آلاف الرجال ، وآلاف الملايين ، وآلاف الأسلحة والعتاد – عليهم أن يغرموا إلى جانب ذلك كله نفقات التطهير ، ونفقات التعويض ؛ لتكمل على رءوسهم الكارثة التى أرادوا أن يصيبونا بها فأصابتهم غير مرجومين ولا مأسوف عليهم ...

عليهم أن يؤدوا آخر قرش فى خزائنهم التى طالما امتلأت بالغصب والسرقة والانتهاب من أموال الشعوب المغلوبة على أمرها ؛ ليؤدوا ما عليهم من مغارم مستحقة ، ليعود كل شيء إلى ما كان عليه قبل أن تبدأ المعركة . . .

نفقات البوليس الدولى

وهذا البوليس الدولى الذى اجتمع من شتى بقاع الأرض إلى مكان المعركة ، ليحمى ظهور المنسحبين من الثأر ... من يدفع نفقاته كذلك ؟

أتدفعها يوغوسلافيا والدانمارك والهند وإندونسيا والدول الأخرى التى اشتركت فى إنشاء القوةالبوليسية ، وهى دول لم تشن حرباً على أحد ولم تشارك فى عدوان؟

ام تدفعها الأمم المتحدة كلها ، فتتحمل كل دولة من دولها نصيباً منها على نسبة ماتؤديه إلى صندوق الهيئة من اشتراك سنوى ؟

وماذنب الأمم المتحدة حتى تدفع نفقات البوليس الذى جاء ليحمى اللص عند الفرار ؟

إن الحق والمنطق والعدالة كذلك ، تفرض على الدول المعتدية نفسها أن تدفع ، أن تغرم ، أن تؤدى كل مافى خزائنها ؛ ليحق عليها الإفلاس وتصيبها الكارثة القاصمة التى كانت ترجو أن تصيب بها غيرها . . .

ومستقبل القنــاة . . .

ونعود بعد ذلك كله إلى نقطة الابتداء ، النقطة التى بدأ عندها وبسببها اعتداء بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل بأساطيلها وجيوشها الجوية والبحرية والبرية على مصر وأرض العرب ...

لقد كانت القناة يومئذ فى أيدينا ، وكانت الملاحة فيها حرة مأمونة فى حماية مصر ...

وكان يهود إسرائيل فى داخل النطاق المضروب حولهم ، واللاجئون العرب أصحاب الوطن الحقيقيون واقفون على أبواب وطنهم يطرقونها بشدة ليعودوا إلى ديارهم ...

وكانت مصر فى موقفها ترقب الأحداث ، وتحمى القناة ، وتنظر بإشفاق وحسرة إلى اللاجئين المبعدين عن وطنهم ، وترسم خطتها للنهوض بمستوى الشعب ،

ودعم السياسة الاقتصادية ، والتخطيط لمشروعات المستقبل .

كذلك كان الموقف قبل أن يبدأ ذلك العدوان فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، فلنعد إلى حيث كنا يومذاك إن صح أن الزمن قد يرجع إلى الوراء بضعة أشهر أو أكثر من بضعة أشهر كما يرجع شريط السينما . . .

فلنقصّ من شريط الزمن هذه الأشهر المليئة بالأحداث ، لنستأنف سيرنا من الماضى ...

نحن الآن – وا أسفاً – فى ٢٨ أكتوبرسنة١٩٥٦ ؛ فماذا تريد بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل من القناة ؟

لقد كانوا يريدون أن يضمنوا لأنفسهم حرية الملاحة، وفى سبيل ضمان حرية الملاحة فى القناة بزعمهم منعوا الملاحة فى القناة ؛ فبأى حق ، أو بأى وقاحة يجوز لهم اليوم أن يعودوا إلى المطالبة بشىء يتعلق بهذه القناة وهم الذين سدوها ؟

ستفتح القناة ، وستكون الملاحة فيها مأمونة ، وستحميها مصر ، وسيتيسر لجميع السفن على السواء أن تمر منها صاعدة أو هابطة ، لاتؤدى إلا الأتاوة المقررة. كل السفن فى ذلك سواء ، إلا سفن الأعداء ...

فلتنظر بريطانيا وفرنسا ، ولتفكرا فى الصفة التى يطيب لكلتيهما أو لإحداهما أن تنتحلها ، من صفات الصداقة أو من صفات العداوة ، قبل أن تبيح لنفسها حديثاً فى شأن من شئون قناة السويس ...

نعم ، إن قناة السويس ممر مائى عام ، لجميع الدول على السواء ؛ ولكنه ممر مائى مملوك لنا ، ويجرى فى وسط أرضنا ، وعلى شاطئيه بلادنا وقومنا ؛ وليس فى قانون من قوانين الأرض ولا من قوانين السماء ولا من قوانين الطبيعة ، أن تأذن أمة رشيدة لعدوها المدموغ بالخسة والغدر والنذالة ، باعتراف كل أمم الأرض ، أن يمر فى وسط أرضها ، وبين أهلها ...

إنها حماقة كبيرة ، لايمكن أن تتحمل تبعاتها أمة رشيدة ، وأول تبعاتها أن يكون أهلها وشواطئها كل يوم عرضة لعدوان جديد وغدر جديد ، من نوع ذلك العدو الغادر الباغى ...

هذه عواقب مافعلوا ...

عواقب حتمية للتجربة القاسية التى مرت بنا وبعدونا خلال هذه الحقبة ، يجب أن يتحمل تبعاتها ويعترف بها العقلاء والحمقى منهم على السواء ...

ومصر الرشيدة تعرف حقها وما يجب عليها لحماية نفسها من كل عدوان جديد ؛ فلينظر الحمقى فى عواقب ما فعلوا بأنفسهم ، حين بدءوا عدوانهم على شعب حر لم يزل منذ كان مؤمناً بالسلام وبالإنسانية !

إسرائيل قلعة الاستعمار

وقد كشفت هذه المعركة النقاب عن وجه إسرائيل..

كنا نقول منذ ثمانى سنوات للعالم كله إن إسرائيل هذه ليست دولة ، ولكنها عصابة ؛ وليست اليهودية التى تنتسب إليها جنساً من البشر ، ولكنها دين ؛ وليس احتلالها لفلسطين استيطاناً قوميا ، ولكنه استعمار ؛ وليس وجودها فى هذه البقعة من أرضنا توطيناً لشعب ، ولكنه تحصين لعدو ...

وكنا نقول إن بريطانيا حين يئست من بقاء الاستعمار فى الشرق أنشأت للاستعمار قلعة باسم آخر ...

كنا نقول هذا للعالم كله ، ولكن العالم كله لا يكاد يصدق ؛ لأن الدعاية الصهيونية قد غلبت العالم على رأيه ، فبات يؤمن بأن اليهود شعب ،

وأن اليهودية قومية ، وأن إسرائيل دولة، وأن فلسطين وطن هذه الدولة ، فليس بينها وبين الاستعمار صلة ولاسبب ؛ فاليوم قد انزاح الستار ،وانكشف المستور ، وظهر للعالم كله أن إسرائيل كما وصفنا ، وأن يهود إسرائيل ليسوا إلا عصابة من تجار الحروب وسماسرة الاستعمار ، أنشأ بهم فى هذا المكان قلعة، ليظل للاستعمار أبداً فى هذا المكان قوة وأثر ...

اليوم قد ثبت للعالم كله أنه ليس هنا قوم ولاقومية ، وليس هنا وطن ولامواطنون، ولكنها عصابة سفاكين غاصبة لوطن غيرها ، مأجورة للاستعمار ، قد استأجرها للقتل والنهب والتخريب وتمزيق وحدة الوطن العربى وتهديد السلام فى منطقة الشرق الأوسط كله ...

اليوم قد ثبت هذا للعالم كله ، وعرف أى واجب علينا لتأمين أنفسنا ، وتأمين إخوتنا وجيراننا ، وتأمين السلام فى الشرق الأوسط كله ؛ ولن يتحقق لنا تأمين

أنفسنا ، وتأمين إخوتنا وجيراننا ، وتأمين السلام فى هذه المنطقة ، إلا باستئصال هـــذا الفساد من وطننا ، لنعيد الوحدة إلى أمتنا ووطننا ...

لقد فُرضت علينا بالإكراه منذ ثمـــانى سنوات هـــدنة قاهرة ، لنرضى بالشر يعيش بيننا ، وبالفساد يعشش فى وطننا وبين قومنا ؛ وكنا بهـــذه الهدنة مغلولى الأيدى ، لانستطيع حركة للدفاع عن أنفسنا ، وعن قومنا ، وعن مستقبل أمتنا ، وعن وحدة وطننا ؛ فاليوم وقد مزقوا هذه الهدنة فى لحظة نشوة مسكرة ، قد صار من حقنا أن نلتمس أسباب الأمان لأنفسنا من هذا الشر الذى يعيش بيننا ...

اليوم لاعيب علينا إذا قلنا مصدقين لقولهم : نعم ، لاهدنة منذ اليوم بيننا ؛ فلنبدأ كفاحنا لتعود فلسطين للعرب ، ويعود يهود إسرائيل من حيث جاءوا ...

تلك نتيجة حتمية أخرى من نتائج المعركة ، على الذين بدءوها أن يذعنوا لها راضين أو كارهين : فهم الذين اختاروا أن ينقضوا تلك الهدنة بعملهم ، وبقولهم ؛ فإننا وإياهم منذ ذلك اليوم فى معركة لم تنته بعد ...

البترول العربى

واليوم وقد رأينا ماكان للبترول العربى من آثار فى المعركة ، فإن من حقنا أن نفكر حول هذا الموضوع تفكيراً أبعد مدى ...

إن فى مصر بترولا تملكه ؛ لأنه فى أرضها ؛ والآبار التى تنتجه ، تستغلها الشركات بإرادتنا وبعقد مبرم بيننا ، يخضع لقوانيننا ؛ وفى سائر بلاد الأمة العربية آبار بترول ، أكثر فيضاً من آبارنا أو أقل ، يملكها العرب لأنها فى أرضهم ، وتستغلها شركات بعقود مبرمة ، خاضعة لقوانين البلاد التى يستغلونها فيها.

هذا البترول العربى فى أرضنا وفى أرض جيراننا ، قوة من قوانا ، نستطيع إذا أردنا أن يكون لنا دفءاً وحرارة ، ونستطيع لو غفلنا أن يكون فى أيدى عدونا وقوداً لطائرات تدمر أرضنا ، ولدبابات تمر على أجسادنا أو أجساد إخوتنا ، ولسفن تحمل جنود الغزو

إلى شواطئنا أو شواطئ جيراننا ، ولمصانع تصنع الدمار لنا أو لقومنا ...

هذا البترول فى أيدينا دفء لنا ، وفى أيدى عدونا نار تحرقنا ؛ وقد علمتنا هذه المعركة فيما علمتنا أننا نستطيع أن نكون أقوى قوة لو كان بترولنا فى أيدينا ...

هذه المعرفة مكسب كبير كسبناه من هذه المعركة ، وفى ضوء هذه المعرفة ستكون سياستنا البترولية والمعدنية فى الغد ...

لن نسمح بعد اليوم أن يضربنا العدو بأسلحتنا ...

إننا لن نبدأه بالعدوان ، ولكننا لن نسمح له بعد اليوم أن يستخدم قدراتنا فى أذيتنا .

حقيقة يجب أن يستيقنها الاستعمار قبل أن يفكر فى إلحاق أى أذى بنا ...

هذه المعرفة لأثر البترول فى السياسة العالمية ، قد

زادتنا إيماناً بحقيقة مؤكدة ، نؤمن بها نحن العرب منذ أجمعنا رأينا على الوحدة ؛ هذه الحقيقة، هى أن التكامل الاقتصادى بين البلاد العربية_سبيل قوتنا ، وسبيل وحدتنا .

ولتحقيق التكامل الاقتصادى ، والتكامل العسكرى كذلك ، رسمنا سياسة الغد ، ولن يحول حائل ما بيننا وبين تنفيذ سياسة الغد التى رسمناها ؛ فإن أذعن العالم لها راضياً وإلا فقد أيقن كما نوقن نحن أن المعركة بيننا وبين الاستعمار لم تنته بعد ...

انتصرنا بقوّتنا !

اليوم قد تم لنا النصر فى الجولة الأولى من جولات هذه المعركة، وانسحبت بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل، وذهبت جيوشهم إلى غير رجعة ، وباءت حملتهم بالخيبة والخذلان والفشل ...

فمن حقنا الآن قبل أن يفكر العدو فى جولة جديدة أن نسأل أنفسنا عن أسباب هذا النصر : ماهى ؟ وكيف تحقق لنا ؟ وبماذا استطعنا أن نقهر دولتين كانتا تزعمان حتى أمس القريب أنهما من أعظم دول الأرض ؟

سيقول قائل : لقد انتصرنا لأن الأمم المتحدة كلها كانت معنا ، والعالم كله فى صفنا .

ويقول قائل آخر : لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم ترض عن هذا العدوان ، وقاومته بكل ماتملك من أساليب المقاومة ، فلم ير المعتدون بدا من الانسحاب..

ويقول ثالث : لأن الاتحاد السوفيتى أرسل إنذاراً رهيباً إلى بريطانيا وفرنسا وحلفائهما من دول الاستعمار ، فارتاعت دول الاستعمار وولت منهزمة .

ويقول آخر : لقد انتصرنا بكل هذه الأسباب مجتمعة ، ولأننا كنا على الحق وعدونا على الباطل ...

وكل هذا الذى يقال ، فيه كثير من الحق ، وينقصه كثير من الحق .

إنما انتصرنا لأننا حاربنا فأرهقنا عدونا وجرعناه كئوس المرارة وجعلنا بقاءه فى أرضنا حراماً عليه ...

كفاحنا فى بور سعيد ، وحده ، هو أول أسباب نصرنا ؛ لا الأمم المتحدة ، ولا الرأى العام العالمى ، ولا موقف الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا الإنذار السوفيتى . . .

كل هذه المؤيدات كانت سناداً لقوتنا ؛ فلو لم نثبت فى بور سعيد ، ونصبر على قتال عدونا ، ونجرعه

المرارة ، ونقطع أوصاله قبل أن يطأ الأرض ، ونزهق روحه قبل أن يستظل بدار . . . لولا ذلك لما تحمست الأمم المتحدة فى تأييدنا ، ولا بقى الرأى العام العالمى معنا ، ولا اهتزت عضلات إيزنهاور من الغضب على بريطانيا ، ولا كان إنذار روسيا الرهيب .

بجهادنا انتصرنا ، بقوتنا ، بتضحياتنا ، بإيماننا بأنفسنا ، بتصميمنا على النصر أو الموت ، بذلك قبل كل شيء غيره كان لنا النصر ، وكانت هذه التأييدات إعجاباً بموقفنا ، لا إيماناً بحقنا أو عطفاً على قضيتنا فحسب !

حقيقة كان يؤمن بها المجرم الباغى إيدن ، والمجرم الباغى جى موليه ، والمجرمون الباغون من رؤساء العصابات الصهيونية ؛ ومن أجل ذلك كانوا يسوِّفون فى تنفيذ ما قررته الأمم المتحدة ، حتى يبلغوا نصراً

يتيح لهم أن يضعوا الأمم المتحدة أمام أمر واقع ، كما فعلوا فى قضايا عدة انتصر فيها الأمر الواقع على الأمم المتحدة ، وعلى الحق والعدل ، وعلى الضمير الإنســـــانى . . .

لا حق بلا قوة !

لقد طالما قلنا إن الحق هو القوة ، وإنه لا حق بلا قوة ؛ فمص البسطاء شفاههم قائلين : « الدنيا بخير ، والحق لا بد أن ينتصر ! » .

أخطئوا وضلوا ؛ إن الشر لم يزل يملأ الدنيا ، فلم يستطع حتى اليوم حق بغير قوة أن ينتصر . ونحن أصحاب حق منذ سنين بعيدة ، ننادى بحقنا فى كل مجال عالمى فلا يستمع لنا أحد ، لأننا لم نكن نملك قوة ؛ فلما بلغنا القوة انتصر حقنا ، لأن القوة فى رأى الأقوياء هى الحق ، ولأن القوة وحدها هى التى تنصر الحق !

فائدة أخرى استفدناها من هذه التجربة القاسية التى مرت بنا ، ولا بد أن نحرص عليها ، وعلى تطبيقها والعمل بها ، حرصنا على حياتنا ، وعلى حريتنا فى وطننا ، وعلى وحدتنا فى أمتنا ، وعلى عزتنا

وكرامتنا . . . سنحرص عليها أبداً ، لنظل أقوياء أبداً ، منتصرين أبداً ، ليكون لنا أبداً مع الحق قوة تسنده وتكون برهانا له فى كل مجال دولى ! .

دستور سياستنا منذ اليوم أن نظل أقوياء ، وأن تظل قواتنا المسلحة غالبة أبداً ، متفوقة أبداً ، فى الجو وفى البحر وفى البر ، حتى لا يأخذنا العدو فى جولة أخرى على غرة . . .

دروس البغضاء !

ودرس آخر تعلمناه من هذه المعركة ، أو من هذه الجولة الأولى من جولات المعركة ، هو أن تكون قلوبنا مجندة ودماؤنا مشتعلة قبل أن نخوض كل معـــــركة . . .

كنا قبل اليوم مسالمين ، وادعين ، لا نريد عنفاً ولا ندعو إليه ، ولا نشجع على حقد أو ثأر ؛ لأننا كنا مؤمنين بأن الحق والسلام ودماثة الطبع ورقة الخلق من قوى الخير ، وأنها كفيلة بأن تغلب كل قوى الشر . . .

ولكن عدونا لم يكن مسالماً ، ولا إنسانيا ، ولا فى خلقه دماثة أو رقة . . .

لقد قتل الأمهات أمام بنيهن وبناتهن . . . صرع الآباء وهم يدافعون عن أعراضهم . . . هدم الدور

والمستشفيات والمساجد على رءوس الشيوخ والنساء والأطفال والمرضى . . .

لقدأشعل بوحشيته هذه الحفيظة والبغضاء فى القلوب ، وأوقد نار الحقد فى دماء الوادعين ؛ فلما استعرت فى نفوسهم نار العداوة ، انطلقوا كالإعصار المدمر ، لا يمسون من شيء إلا تركوه رماداً . . .

العدو الباغى هو الذى صنعهم كذلك بوحشيته ، فعلمهم كيف ينالون الثأر لآبائهم ولأمهاتهم وللقتلى من إخوانهم وأخواتهم وأهليهم . . .

إن الحقد قوة عظيمة من قوى النصر على أهل البغى .

السلام ، والحب ، والرحمة : ليست من أسباب النصر على وحوش الغابة . . .

قد علمتنا هذه المعركة أن نتسلح بالبغضاء ، لننتصر على أهل البغى ؛ وسنستفيد مما تعلمناه ؛ فسنعلم أبناءنا

وبناتنا منذ اليوم ، فى البيوت ، وفى معاهد التعليم ، أن يحقدوا ، وأن يضطغنوا على العدو ، وأن تمتلىء قلوبهم بالبغضاء ، وأن تتقد دماؤهم بنار الثأر ، حتى يقتلوا بكل شهيد من شهدائهم اثنين أو أكثر من العدو .

إن الرحمة منذ اليوم ضعف ، ونحن لا نريد أن نكون ضعفاء ! .

بمثل هذه الروح انتصرنا فى المعركة ، لا بأننا أصحاب الحق فحسب ؛ وبمثلها سننتصر فى كل معركة قادمة ، إذا كان العدو لا يريد أن تنتهى المعركة ! .

أصدقاؤنا وأعداؤنا

وعرفنا من هذه المعركة صديقنا ، وعدونا ، وأهل النفاق بين هؤلاء وأولئك ، وأهل المصلحة الذاتية بين أولئك وهؤلاء ، وأهل الانقياد الذليل الأعمى بين الجميع . . .

عرفنا من هذه المعركة : اليونان الصديقة ، الدولة الصغيرة ، ذات الماضى العريق ، وذات المثل الإنسانية ، وذات الخلق العالى ، المؤمنة مثلنا بالإنسانية ، وبالسلام ، وبالحرية . . .

وعرفنا الاتحاد السوفيتى الصديق ، الذى دافع عن حقنا بإخلاص فى كل مجال دولى ، وأمدنا بكل ما طلبنا من عتاد وذخيرة ، وكان إنذاره الرهيب لعدونا فى اللحظات الحاسمة من المعركة فصل الخطاب . . .

وعرفنا الهند الصديقة ، التى ازداد إيمان العالم بحقنا من خلال الحجج الدامغة التى كان يسوقها زعماؤها لتأييد قضيتنا فى كل مجال دولى داخل الأمم المتحدة وخارجها ...

وعرفنا الصين ، وإندونيسيا ، ويوغوسلافيا ، ورومانيا ، وسيلان ، ودولا أخرى فى آسيا ، وفى أوربا ، وفى أمريكا اللاتينية . . .

وعرفنا الولايات المتحدة ومراميها القريبة والبعيدة ، وموقفها منا ... ومن حلفائها !!

وعرفنا إلى جانب هؤلاء الدول صنفاً آخر ...

عرفنا باكستان ، والعراق ، وتركيا ، وإيران ، والحبشة ، ودولا أخرى مثلها ، يؤمن بالحق قلبها ويكفر لسانها ؛ فهى معنا مرة بالقلب دون اللسان ، وعلينا مرة باللسان دون القلب ؛ ولو أنها ملكت حريتها ولم يغلبها زعماؤها على إرادتها ورأيها ، لكانت فى صف الدول الصديقة ، أو الدول الشقيقة . . .

وعرفنا إلى جانب هؤلاء وأولئك ، دولا أخرى كانت ضدنا طوال المعركة ، بإرادة أو بغير إرادة ، منها بلجيكا ، ومنها أستراليا . . . ومنها دول أخرى غير بلجيكا وأستراليا من ذيول بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل . . .

عرفنا هؤلاء وأولاء وأولئك وحددنا موقفنا من كل منهم وموقفهم منا . . .

وغداً حين تهدأ ثائرة المعركة ، إن أراد العدو أن تهدأ ثائرة المعركة ، سيكون لكل دولة من هذه الدول الصديقة وغير الصديقة ، الصريحة أو المنافقة ، مكانها وحقها ، ومستقبلها منا ومستقبلنا . . .

المعسكرات الدولية

واليوم ، ونحن فى لحظة البدء ، بعد الجولة الأولى من جولات المعركة ، وقبل أن نمضى إلى غاياتنا ونستأنف كفاحنا لتحقيق الوحدة لأمتنا ، ووطننا ، والحرية لقومنا ولكل من حولنا ، ولرفع مستوى المعيشة لشعبنا ولكل الشعوب الصديقة حوالينا ، ولتثبيت دعائم السلام فى منطقتنا . . .

اليوم ، ونحن فى موقف الانتظار قبل أن نستأنف الكفاح ، نريد أن نسأل أنفسنا عما نعرف عن المعسكرات الدولية التى تكرر ذكرها كثيراً خلال الجولة التى انتهت من المعركة . . .

ماذا عرفنا عن حلف بغداد ؟ .

وماذا عرفنا عن حلف شمال الأطلسى ؟ .

وماذا عرفنا عن مجموعة دول الكومنولث ؟ .

وماذا عرفنا عن مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ؟.

وماذا عرفنا عن كتلة الدول الأفريقية الآسيوية ؟.

وماذا عرفنا عن الكتلة الشرقية ، والكتلة الغربية ؟.

حلف بغداد

أما حلف بغداد فهو ميثاق يضم أربع حكومات ، خامسهم بريطانيا ، قد اجتمعوا على حلف بأن يكونوا يداً واحدة لمساعدة بريطانيا وتثبيت دعائمها فى الشرق الأوسط . . .

هذه الحكومات الأربع هى : حكومة بغداد ، وحكومة تركيا ، وحكومة إيران، وحكومة باكستان.

حكومات لا تسندها شعوب ، ولكنها ليست فى حاجة إلى سند من الشعوب ؛ لأنها مؤيدة فى مناصبها بقوة بريطانيا ، لمصلحة بريطانيا . . .

وتوشك أن تنضم إلى هذا الحلف فى هذه الأيام ، حكومة فرنسا وحكومة يهود إسرائيل ! .

وقد كان موقف هذه الحكومات متقلباً فى معركتنا ؛ فمنذ بدأت الأزمة فى يوليه ١٩٥٦ كانت الدول الأربع

رأياً وقلباً مع بريطانيا على مصر والعرب ؛ وكانت، أصوات إيران وباكستان وتركيا في مؤتمر لندن ضد مصر ، ولم يكن للعراق رأى لأنها لم تكن عضواً فى المؤتمر . . .

فلما اشتدت الأزمة،وتوالت نذر الحرب ، واجتمع العالم كله على رأى واحد فى العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، وتحفزت جيوش فى الشرق وجيوش فى الغرب ومتطوعون من الشمال ومتطوعون من الجنوب لمؤازرة مصر ، نظرت الحكومات الأربع حواليها فإذا شعوبها تكاد تفلت من أيديها وتتمرد عليها ، وكانت بشائر النصر لائحة لمصر ؛ فاجتمع الرؤساء الأربعة فى غرفة مقفلة برياسة إمبراطور خطير فى طهران، يتهامسون بينهم ، وطال تهامسهم أسبوعاً ، ثم خرجوا ببيان على الناس يقولون فيه ، إن حلفنا – وقد اجتمع أقطابه دون بريطانيا – يستنكر ذلك العدوان !

واشتد ضغط الرأى العام فى الدول الأربع على

حكوماته ؛ وكان أشدها ثورة شعب العراق ، وخاف رئيس حكومته أن يفلت من يده زمام الشعب ، ورأى أنابيب البترول العراقى تدمر فلا يستطيع أن يحميها ، وطائرات الإنجليز تتزود بالوقود فى مطارات العراق لضرب مصر فلا يستطيع أن يمنعها ، فتلفت حواليه مذعوراً حيران : أينزل على إرادة الشعب ويخرج من قبضة بريطانيا ، أم يستمر على رأى بريطانيا ويتجاهل إرادة الشعب ؟ . . .

وطال به التردد ، ولكن الشعب لم يتردد ، فهو اليوم على الأهبة لثورة جامحة ، ليخلع عن رقبته النير وينضم إلى قافلة البلاد العربية المتحررة ، ويوم يتحقق ذلك لشعب العراق ، لا يكون اسم حلف بغـــداد «حلف بغداد» ، ولعل أصحابه أن يسموه يومئذ حلف أنقره – تل أبيب ! .

وأما تركيا فقد عرفت أن انتصار العرب معناه أن تسترد سوريا ما اقتطعته تركيا من أرضها فى الشمال ،

وأن تعود الأمة العربية وحدة كبيرة ليس لتركيا بجانبها مقام؛ فآثرت أن تسفر عن وجه العداوة ، ومضت فى تأييد المعتدين فى السر والعلانية ، وهى اليوم بسبيل حلف جديد مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ويهود إسرائيل ، لتدمير قوة العرب ؛ على أن تكون مكافأتها على ذلك جزءاً آخر من سوريا تضمه إلى أراضيها ...

ولكن المعركة يوم تستأنف ، إن أرادت دول العدوان أن تستأنفها ، لن يكون أحد أطرافها تركيا ؛ لأن تركيا يومئذ ستكون خبراً ماضياً من أخبار التاريخ ، وعلم ذلك عند جارتها روسيا !

وأما إيران وباكستان ، فوا أسفاه ! .

إننا نظلمهما لو آخذناهما بموقفهما المتناقض الضعيف من قضية مصر ، إنهما دولتان تؤمنان بالحرية ، وبالحق والإنسانية ، ولكنهما تكتفيان فى المجال الدولى بأضعف الإيمان : بالقلب دون اليد واللسان ! ! .

حلف شمال الأطلسى

وهذا حلف استعمارى آخر ، تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية ، وفيه بريطانيا وفرنسا ودول أخرى من دول الشمال تظن أن لها بهـــذا الحلف حماية من شر تتوقعه من الكتلة الشرقية ...

ولهذا الحلف عتاد وذخيرة يتزود بهما من الولايات المتحدة الأمريكية ، ليرد بهما عن نفسه بعض العدوان إن همت الكتلة الشرقية بعدوان عليه . ومن هذا العتاد طائرات ودبابات ومدافع وسيارات ومتفجرات وقذائف ...

ولكن بريطانيا وفرنسا لم تستخدما نصيبهما من هذا العتاد لرد عدوان الكتلة الشرقية على إحداهما أو كلتيهما كما تقضى شروط الحلف ، واستخدمتاه للعدوان على مصر ، ولتزويد يهود إسرائيل به ليساعدوهما فى العدوان على مصر ...

ورأت الولايات المتحدة الأمريكية العتاد الذى تنفق عليه من أموال شعبها يستخدم للعدوان ، ولقتل الأبرياء ، ولتخريب المدن العامرة ، فأعلنت الغضب ، وقالت جادة لبريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل : لغير هذه الغاية كانت أسلحة حلف شمال الأطلسى !

وصدقت الولايات المتحدة فيما قالت ، وصدقتها بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل فيما قالت ، ولكنهم لم يكفوا عن استخدام سلاح حلف شمال الأطلسى فى عدوانهم الإجرامى على مصر ، ولم تفكر الولايات المتحدة بعد فى ضرورة طلب التعويض عما أساءوا استخدامه من أسلحة حلف شمال الأطلسى ، أو فى تعديل نظام حلف شمال الأطلسى ؛ ولعلها إن فكرت فى تعديله أن تضم إليه حلف بغداد الذى يوشك أن ينهار ...

والسياسة فنون !

مجموعة دول الكومنولث

ومجموعة دول الكومنولث ، هى الدول التى كانت فى يوم من الأيام مستعمرات بريطانية ، فلما أكرهت بريطانيا على الاعتراف باستقلالها ، رغبت فى أن ترتبط إليها بنظام يجعل بينهما مشاركة فى السياسة الخارجية ، فكان نظام الكومنولث ، ويفرض هذا النظام على الدول المشتركة فيه ألا تتخذ إجراء فى أمر من الأمور الخارجية إلا بعد مشاورة وتصويت ورأى ؛ ولكن بريطانيا بدأت هذا العدوان الغادر على مصر والعرب دون أن تشاور دول الكومنولث .

وكانت دول الكومنولث معها من يوم بدأت الأزمة فى يوليه — عدا الهند — ولكن بريطانيا مضت فى حماقتها إلى الغاية ، وأرسلت الجيوش فى البر والبحر والجو لتغزو مصر ، فثارت عليها دول الكومنولث ، وهددتها بالانفصال ، فلم يبق معها من تلك الدول غير نيو زيلاندا وأستراليا .

وشعب أستراليا — فيما يعرف أهل العلم — هو سلالة المستعمرين الأولين لتلك القارة الحديدة النائية ، وكانت بريطانيا — حين اكتشفت تلك القارة — قد رأت أن تبعث إليها نزلاء سجونها من أهل الجريمة ليعمروها ، لعلهم أن يجدوا فى المجتمع الجديد سبيلا إلى التوبة واستئناف حياة جديدة ؛ فكان أول من عمر أستراليا بذلك هم المجرمين وطريدى العدالة ؛ فكثروا وتناسلوا وصاروا شعباً فى وطن ؛ وظل هذا الوطن مستعمرة بريطانية حتى نضج ووعى ، فاستقل ، وصار بعد الاستقلال من دول الكومنولث ، ولكن فى دمه من مواريث الآباء بذور الجريمة ! .

الأمم المتحدة

والأمم المتحددة مجموعة من الدول أرادت بريطانيا وحلفاؤها يوم أنشئوها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية أن تكون مثل برلمان دولى تحتكم إليه الدول الأعضاء فيما ينشب بين بعضهم وبعض من أسباب الخلاف ، فيتشاورون ، ويصوتون ، ويرون الرأى ، ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ رأى من آرائهم منذ كانوا ، إلا إذا كان وراء هذا الرأى دولة عظمى ! . . .

لقد رأت هيئة الأمم المتحدة رأياً فى قضية فلسطين العربية سنة ١٩٤٧ ، ولكنها لم تستطع تنفيذه ، ثم رأت آراء أخرى فى تلك القضية نفسها ، تناقض الرأى الأول ، ولم تستطع تنفيذها كذلك . . .

وقد مضى على ميلاد هذه الهيئة إحدى عشرة سنة ، لم تستطع خلالها أن تثبت وجودها العملى بغير الخطب

والمآدب والقرارات غير القابلة للتنفيذ ، إلاما يكون منها موافقاً لرأى بريطانيا ومصلحتها ، أو رأى حلفائها ...

آمنت بريطانيا — من هذه السوابق — بأنها تملك أن يكون رأى الأمم المتحدة هو رأيها ، ولا رأى غير رأيها ، فمضت فى سياستها على مقتضى هذه الحقيقة ، ولكن هيئة الأمم المتحدة لم تلبث أن كبرت ، وانضم إليها دول جديدة ، منها اليوم بضع عشرة دولة عربيـــة ، وبضع وعشرون من الدول الشرقية الآسيوية ، ودول من دول أمريكا اللاتينية الصديقة ، ودول شرق أوربا المعارضة ؛ فبدأت هيئة الأمم بذلك تفلت من قبضة بريطانيا ....

وأحست بريطانيا ذلك ولكنها مضت فى غرورها غير مكترثة ، فلما افتعلت هى وفرنسا أزمة قناة السويس فى يوليه الماضى ، قلنا لهما : إليكما هيئة الأمم المتحدة فاحتكما إليها . ولكنهما خافتا ولم تحتكما إليها...

ثم نشب العدوان ، واجتمعت الأمم المتحدة كلها

على رأى ضد العدوان ، وضد بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل ، فلم يؤيدها فى موقفها إلا مندوب سلالات المستوطنين فى أستراليا من أهل الجريمة ...

وكأنما خيل إلى بريطانيا وهى التى أنشأت هيئةالأمم المتحدة لتستعين بها على إحقاق الباطل ، أنها تملك أن تكفر بالصنم الذى صنعته؛ ولكن ذلك الصنم قد أثبت وجوده حيا ، وهب فى وجه بريطانيا يقول لها : قفى ، أو تهلكى ويهلك العالم معك !

وكانت قضية مصر وموقف مصر وحجة مصر ، هى القوة التى نفخت الروح فى الصنم المنحوت من حجارة ، فأثبتت حياته ؛ وكان فى يد بريطانيا صنما أبكم أصم !

مجلس الأمن

ومجلس الأمن : هيئة مؤلفة من أحد عشر عضواً من أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، منها خمس حكومات دائمة العضوية ، هى : روسيا ، وأمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وحكومة خامسة بلا شعب ، اسمها حكومة فورموزا الصينية ، أو حكومة الصين الوطنية ؛ ثم بضع دول أخرى تتغير عضويتها بالانتخاب ...

ويشارك هذا المجلس الأمم المتحدة فى بعض الاختصاص ، وله فيما يزعم واضع دستوره قوة تنفيذ ليس للأمم المتحدة مثلها ، ولكن للخمسة الدائمين من أعضائه بجانب قوة التنفيذ هذه حق التعويق ، فأى دولة من هذه الدول الخمس عارضت قراراً من قرارات مجلس الأمن سقط كأن لم يكن ، وذلك مايسمونه « حق الڤيتو » ...

ومنذ قام مجلس الأمن إلى اليوم ــ منذ إحدى عشرة

سنة – لم يستعمل أحد من أعضائه الدائمين حق الڤيتو ، إلا روسيا ؛ لأنها وحدها على مذهب فى السياسة وكل الدول على مذهب. وكانت بريطانيا دائمة النقد لروسيا لأنها تدافع عن حق الڤيتو ، فلما آن الأوان وآذنت بريطانيا بالانهيار ، وكانت قضية مصر معروضة على مجلس الأمن فصوت المجلس ضدها ، استخدمت بريطانيا حق الڤيتو الذى كانت تعيب على روسيا حق استخدامه !

ولكن مجلس الأمن لم يزل كهيئة الأمم ، منظمة مصبوغة بصبغة إنجليزية أمريكية فرنسية ، إسرائيلية أحياناً ؛ ولكنها منظمة دولية فيما يصفون ؛ وقد حكمت فى قضية مصر لمصر ...

ولأول مرة فى تاريخ مجلس الأمن ، استطاع أن يقدم برهاناً على أنه يعرف الحق أحياناً ؛ لأن حق مصر كان مؤيداً بقوة .

المعسكرات الدولية

والعالم اليوم ينقسم إلى معسكرات ...

* منه معسكر الكتلة الغربية ، وتتزعمها الآن الولايات المتحدة الأمريكية ، وتضم دول غرب أوربا وحلفاءها فى الشرق ، وأكثرها دول استعمارية ، أو شبه مستعمرات مستقلة ؛ وتوصف أيضاً بأنها الدول الرأسمالية .

* ومنه الكتلة الشرقية ، ويتزعمها الاتحاد السوفيتى ؛ وتضم الصين الشعبية ؛ ودول أوربا الشرقية المتحالفة مع الاتحاد السوفيتى والآخذة بمذهبه ، وتوصف بأنها الدول الشيوعية .

وبين المعسكرين الشرقى والغربى عداء دائم ، وكل معسكر من المعسكرين يتربص بالمعسكر الآخر ، وبينهما دائماً حرب أعصاب مستمرة ، وتوصف هذه الحرب بأنها الحرب الباردة !

* ونتيجة للعداء المستحكم بين المعسكرين الشرقى والغربى ، نشأت منذ قريب كتلة ثالثة ، باسم الكتلة الأفريقية الآسيوية ، وتقف موقفاً وسطاً بين المعسكرين المتعادين ، لاتخاصم أحداً منهما ولا تنضم إليه ؛ وأكبر دول هذه الكتلة الجديدة الناشئة : الهند ، وإندونيسيا ، ومصر ، والبلاد العربية المتحررة .

وكان موقف الكتلة الأفريقية الآسيوية مع مصر عظيما ، خلال المعركة ، وقبل المعركة ، وكان تأييدها لنا كاملا ومستمرا .

كما كان موقف الكتلة الشرقية كريماً نبيلا ، حاسم الأثر فى المعركة ؛ ومن أعظم ماساعدتنا به الكتلة الشرقية : صفقة الأسلحة التشيكية ، وإنذار روسيا الرهيب !

الاستعمار يتداعى

انتهت حملة بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل بالخيبة، وعاد جنود العدوان من حيث أتوا ، وتوشك قوات البوليس الدولى أن تنسحب ، وغداً أو بعد غد ينتهى تطهير القناة ، وإلى أن يتم هذا التطهير ، تظل المواصلات البحرية عبر الشرق والغرب معطلة ، أوكالمعطلة ؛ والتجارة الأوربية كاسدة ، أوكالكاسدة ؛ وناقلات البترول لاتكاد تحمل إلى أوربا شيئاً يكفيها للوقود وللمصانع وللآلات المتحركة وللدفء من برد الشتاء ؛ فإذا انتهى التطهير بسلام ، فقد رجعنا إلى حيث كنا قبل العدوان ، وبدأ حديث السياسة عن حق المرور فى القناة ، وحق السيادة على القناة ، إن لم تنحسم هذه المشكلة قبل ذلك..

ونحن خلال ذلك كله ، ماضون فى طريقنا لتحقيق أهدافنا ، لتحطيم مابقى من أوكار الاستعمار فى منطقتنا ، حتى تتحرر الجزائر وشمال أفريقيا ، وتتحرر قبرص

وجـــزر البحـــر المتوسط ، وتتحرر عـــدن ولحج وحضرموت والبحرين وعمان ، من كل أثر للاستعمار ، وحتى تجلو الصهيونية عن فلسطين ، ويعود كل عربى من أهلها إلى داره .

ويكون برنامجنا لرفع مستوى المعيشة فى مصر ماضياً بجانب ذلك إلى غاياته ، وبرنامجنا لتوحيد الأمة العربية والوطن العربى ماضياً إلى غايته كذلك ...

هذه أهدافنا ، لابد أن نحققها ، لايعنينا فى سبيل تحقيقها أن ترضى بريطانيا وفرنسا ويهود إسرائيل أو يسخطوا ...

إن برنامجنا واضح المعالم ، محدود الطريق ، ليس فيه التواء ولا غموض ولا إبهام ...

نريد أن نبلغ الحرية .

نريد أن نبلغ الوحدة .

نريد أن نرفع مستوى معيشة الشعوب العربية .

نريد أن نحقق وجودنا الإنسانى فى العالم .

نريد أن نكون قوة عظمى فى هذه المنطقة الوسطى من أرض البشر ، يعتدل بها ميزان السلام فى العالم .

نريد أن يكون كل خير فى بلادنا لنا ، قبل أن يكون شىء منه لغيرنا .

فإن تركتنا الدول الاستعمارية نمضى إلى غايتنا هذه فى أمان وسلام ، فقد حفظت لنفسها البقية من الهيبة والكرامة ، وإلا فلن تعوقنا معارضتها عن الاستمرار فى السعى إلى غاياتنا . كل ماستفعله معارضتها هو أن نقف فى أثناء سيرنا لحظات ، ريثما نلقنها درساً ونلطمها لطمة ، ثم نستأنف مسيرنا !

السلام والرخاء والحرية

نحن نريد السلام، ونريد مع السلام الرخاء والحرية، وفى سبيل السلام والرخاء والحرية سنبذل أقصى مانملك من الطاقة ...

سنبذل من ذات نفوسنا ، ومن ذات أيدينا ، ومن أرواحنا ودمائنا ، لايعوقنا عائق ولا نبخل ببذل ...

سنقاتل فى سبيل السلام ، وبعض الحرب سبيل إلى السلام .

هذا دستور كفاحنا ، وبالله توفيقنا . م

[تم بتوفيـــق الله]
[فى ١٥/١٢/١٩٥٦]

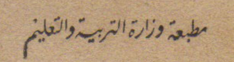
فهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطبعة وزارة التربية والتعليم
٣٦٣/١٩٥٦/ ٤٠٠٠٠


مطبعة وزارة التربية والتعليم